شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

العدد الخامس : المجلد الثامن والخمسون محرم وصفر ١٤٣٤ هـ نوفمبر وديسمبر ٢٠١٢م

- من ظلام اليأس إلى مستقبل مشرق !
- وظيفة الإعلام التوجيه ، لا التشويش والإضطراب
- شيخ الأطباء : الرازي وكتابه برء الساعة
- حول إقامة حدود الله
- دور بديع الزمان النورسي في تربية النشء الجديد
- اعتراضات المستشرقين ضد القرآن الكريم والرد عليها
- سوريا في مرآة التاريخ

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)

Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : thealbaas@nadwatululama.org

Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Issue:04 Vol: 58 October, November 2012

اصدارات حديثة :

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027.Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٨

محرم وصفر ١٤٣٤ هـ

Vol.58 Issue.05
November, December 2012

العدد الخامس : المجلد الثامن والخمسون محرم وصفر ١٤٣٤ هـ - نوفمبر وديسمبر ٢٠١٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي-رحمه الله)

انشاها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

٥٨

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:

أختر سهيل

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
E-mail:nadwa@sancharnet.In

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الخامس – المجلد الثامن والخمسون – محرم وصفر ١٤٣٤هـ نوفمبر وديسمبر ٢٠١٢م

الافتتاحية :		
من ظلام اليأس إلى مستقبل مشرق !	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي :		
الأصول المهمة في الكفر والتكفير	الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل	٨
القرآن العظيم والمخلوقات الكونية	الأستاذ سعيد الرحمن بن محمد شهاب الدين الندوي	١٤
الدعوة الإسلامية :		
حول إقامة حدود الله	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	٢٣
رجالات العلم والتاريخ :		
شيخ الأطباء : الرازي وكتابه برء الساعة	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٣٣
شيخ الإسلام الإمام ولي الله الدهلوي		
وكتابه إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء	الأستاذ محمد سكحال	٣٧
دور بديع الزمان سعيد النورسي في تربية النشء الجديد	الدكتور سعيد الأعظمي الندوي	٥٠
دراسات وأبحاث :		
اعتراضات المستشرقين ضد القرآن الكريم والرد عليها	الأستاذ محمد نور الإسلام	٦٦
مفهوم حقوق الإنسان وتطوره	الدكتور محمد بي ، بي والسيد محمد سني	٧٤
سوريا في مرآة التاريخ	الأستاذ السيد عمر فاروق	٨٣
صور وأوضاع		
وظيفة الإعلام التوجيه ، لا التشويش والاظطراب	محمد واضح رشيد الحسني الندوي	٨٧
من كنوز القرآن الكريم :		
مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٩٢
إصدارات حديثة :		
مشاهد ومطارحات في الأدب واللغة والثقافة	قلم التحرير	٩٧
السير سيد أحمد خان : حياته وأفكاره	" " "	٩٨
إلى رحمة الله تعالى :		
الأمير هذلول بن عبد العزيز إلى رحمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٩
الدكتور عبد الحق الأنصاري في ذمة الله تعالى	" " "	٩٩
والدة الأخ الأستاذ فيصل منظور الندوي إلى رحمة الله تعالى	" " "	١٠٠

الافتتاحية:

من ظلام اليأس إلى مستقبل مشرق !

المجتمع الذي نعيش فيه اليوم يتميز بمفارقات ومناقضات كثيرة ، وأبرزها طلب الحقوق من غير أداء الحقوق ، فإن المرء قبل أن يجيد أداء المسئولية التي تعود إليه يطالب مقابل عمله أجرة أو مرتباً بأضعاف ما يستحقه ، إنه يعتبر نفسه على قمة من الكفاءات والطاقات ، ويتمنى أن يكون في مقدمة من العاملين معه ، وأن يتقاضى من الأجور ما يكون فوق الجميع ، بمثل هذه النفسية يعيش الناس اليوم في العالم كله ، دون أن يحاولوا التوصل إلى المفاهيم العالية التي أرادها الله تعالى من العمل والسعي والرزق والعطاء ، وبالتالي العدالة والمساواة والنصح والتعاون ، ذاك أن الله سبحانه قد خلق الجن والإنس لإنجاز عمل العبادة بأحسن طريق ، وبصدق وأمانة وبدقة وبراعة ، وبجدية وولاء ، فيمنّ الله تعالى بإزاء هذا العمل على خلقه بالرزق الجميل والعطاء الجزيل ، يقول تعالى في أواخر آيات سورة الذاريات (٥٦ – ٥٧ – ٥٨) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ والعبادة تعم كل عمل ينجزه المرء بإخلاص ولابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته .

أما أن يكون العمل ضعيفاً أو ضئيلاً ، وأما أن يكون السعي قليلاً وبعيداً عن روح الإخلاص والتقى ، فليس له قيمة في عين الله تعالى لأنه يرى إلى كمية السعي وكيفيته كذلك ، ثم يجزي بقدر السعي ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ (سورة النجم الآيات/٣٩ – ٤١) .

هذه النفسية الحائرة والطبيعة الجائرة ، أدت بالإنسان الحديث إلى الطمع الشديد ، والجشع العجيب ، والشره المعيب للمال ، الذي يحصل له من غير عمل أو مشقة ، فالطريق الأول لذلك هو الربا والارتشاء إزاء أداء حق معلوم في جميع المصطلحات وعلى كل المستويات ، وما يعني ذلك إلا أكل أموال الناس بالباطل الذي ذمه الله تعالى في كتابه فقال : ﴿وَأَخْذِهِمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ وبذلك تنفتح الأبواب على مصاريعها وعلى ساحة واسعة من المال الحرام ، ويأخذ ذلك صورة للفن ، فبالخداع والسرقة والخيانة وقطع الطريق ، وبالتخليط في الحسابات والتمويه على أصحاب الحكم والمسئولية ، وفنون أخرى مما لا نعلمه ، يدخرون الأموال ويكدسون العقارات ويفتحون حسابات جديدة في البنوك الكبرى بغاية من السرية ، وليس من يتلوث بهذه الجريمة الخبيثة طائفة أو جماعة خاصة ، إنما يبرع في هذا الفن كل من صلته ضعيفة بالإيمان ويعيش في غفلة ولا يزعجه ذكر الموت في أيّ حال ، فهو ومثله كثير ، لا يخافون ولا يخجلون عما إذا عاشوا الجرائم بأنواعها وألوانها .

وبذلك قام الغرب بتصدير الأدواء الخلقية إلى الشرق وتحبيب المنكرات إلى أهله وإبعادهم عن نهج الحياة الذي منحه الإسلام للإنسان ، والذي يتفق والطبيعة البشرية في جميع المساحات الزمنية والمكانية ؟ إنه لم يأل جهداً بتمزيق وحدة الإنسان الذي لا ينتمي إلا أب واحد ورب واحد ، وجاء بمصطلح لا صلة له بطبيعة البشر ، وهو مصطلح الأقلية والأكثرية إذ لا معنى لذلك ما دام الناس مفطورين على الطبيعة الواحدة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات الآية/١٣) هذه هي العالمية التي سماها الغرب بالعولمة ؟ فالناس كلهم متحدون في الإنسانية ، ولكنهم متفرقون في الأسر والشعوب والقبائل ، أما العولمة فليست إلا مصطلحاً

اخترعه الغرب لأغراض تافهة من الاستيلاء على الاقتصاد العالمي وللاستعمار والاستعباد ، وفرض السيطرة على الشعوب ثم إخضاعها أمام آرائه السياسية وفلسفته الحضارية ، والسير وراءه في جميع المهمات الدولية والحاجات الإنسانية وذلك ما بعث الغرب على تبرير الجرائم السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي بوجه أخص وإجباره على قبوله النظام العالمي الجديد الذي هو واقف بالمرصاد للنيل من الأمة الإسلامية ذات الكلمة الواحدة والعقيدة الصامدة ، والسائرة على درب واحد من النهج السماوي الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

إن الخضوع للنظام العالمي الجديد لا يعني إلا محاربة الفضائل الإنسانية والشريعة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لصالح البشرية وسعادتها في كل حين وآن وعلى جميع الساحات والمناحي الحيوية ، وهي تتولى فتح الطريق السوي للعالم البشري بغاية من الدقة والاتزان والاستقامة ، اقرأوا ما قاله سبحانه في كتابه ، واحمدوه على ما أنعم به على الإنسان من نعم لا يأتي عليها الحصر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً * وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ * كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾ (سورة الكهف الآيات/١ – ٥) .

من هم الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، إنه واقع لا يخفى على المطلعين ، أليس أولئك هم الذين يعادون دين الله ، ويسيئون إلى الأحكام والآداب التي تتكفل بسعادة العالم البشري كله بوجه خالد دائم طريٍ في كل عصر ومصر ، لا يقف أمام فطرة الله التي فطر الناس عليها ، أيّ أدب أو قانون ، فقد تذاءب أمامه قانون الرومان ، وأدب اليونان ، وفنون بابل وعقلية نينوي الحضارية ، وكتب الله تعالى الخلود لهذا الكتاب الذي أنزله على خاتم النبيين

محمد المصطفى ﷺ ، والدين الأخير (الإسلام) الذي قرره دين البشرية كلها والذي كان ناسخاً لجميع الديانات والفلسفات والنظريات الحضارية والاجتماعية بأسرها ، وليس هذا الكلام جزافاً ، ولا قياساً ، إنما هو واقع تاريخي عظيم لا يكذبه التسلسل التاريخي المعلوم منذ أن وجد العالم ، وعمّره الإنسان .

ولكن العصر الحضاري العلمي اليوم يحاول تكذيب هذا التاريخ وإثبات أن الدين الإسلامي لا يتفق وفطرة الإنسان ، لأنه دين يرفض التسامح ويفرض الأصولية ، ويغمط حقوق جنس الإناث ويرجع بهن إلى عصر الظلام والهمجية ، إن زعماء هذا اللغو يؤكدون للعالم أن الإسلام سبّب اليوم في العالم البشري فساداً وعداءً ، وقد تولى توزيع البشر بين خلايا متعددة من الكفر والشرك والأسر والقبائل والأنساب والسادة والعبيد وما إلى ذلك من سَقطات لاتمت إلى الحقيقة بأي صلة ، فإن الإسلام قد وضع حداً على حرية الرأي ، وقيد النساء في غياهب الحجرات وظلام الحجب ، وحرمهن المتعة من مباهج الدنيا وكرامة العلم والحضارة .

بمثل هذه الأكاذيب يتهمون الإسلام ويقولون : إنه دين لم يعد صالحاً لهذا العصر المتطور في مجالات العلوم والثقافات والفلسفات الحضارية البشرية ، وذلك واقع مشهود يدعو المسلمين إلى أن يتناولوه بالتطوير والتغيير ويجعلوه منسجماً مع طبيعة الإنسان المتحضر الذي يعيش مع فقه الواقع ولا يلح على الأصولية التي ليس لها قرار .

وإليكم مثالاً للإسلامية التي يكرهها الغرب وقد نشرته الجرائد ، ذاك أنه لما أعلن عن اسم عبد الله غل الذي كان يعرف باتجاهاته الإسلامية وأعلن رئيس وزراء تركيا طيب اردغان عن عبد الله غل كرئيس تركيا المتوقع والمرجو أن يفوز في الانتخاب الرئاسي ، أبدي الغرب استياءه الشديد على ذلك وقال المندوب الغربي : إن عبد الله غل إسلامي الاتجاه وزوجته تلبس الحجاب ، وهي تكون السيدة الأولى لتركيا ، ووصول مثل

هذه المرأة إلى القصر الجمهوري خطر كبير على الاشتراكية في تركيا ، فأرجئوا انتخابه إلى مدة ، ولكن الله أبى إلا أن يكون هو الرئيس في تركيا ، ولما حان انتخاب الرئيس الجمهوري في فرنسا لم يتأخر ذلك عن موعده ولا للحظة واحدة ، وتم انتخاب نكوليس سركوزي ، وهو معروف بعدائه لمسلمي فلسطين ومسلمي العالم الإسلامي ، وصداقته لإسرائيل واليهود مشهورة ، فلنعرف جيداً ماذا يراد بالإسلام وقيمه الخلقية والاجتماعية بمثل هذا المنطق المرذول .

يسود اليوم في أوربا وأمريكا خوف شديد من هيمنة النظام الإسلامي ومنهجه الشامل للحياة ، وقد انتشر الذعر في المجتمعات المادية فيهما ، نظراً إلى الإقبال الكبير على اعتناق الإسلام وموجة الأسلمة في كل مكان ، ولذلك فإن الاساءة إلى كتاب الله ونبي الإسلام الأخير ونزاهة التاريخ الإسلامي الأول ، أصبحت عادة يستمرؤها المناوؤن للإسلام ويُحدثون حيناً لآخر قضايا تثير عواطف الأمة وتشعل فيها نار الثورة والتظاهرات الجادة على المستوى العالمي التي تشكل عوائق في نشر الدعوة إلى الإسلام ، وفي سبيل تجربة حضارة الأمن والسلام والعلم والثقافة ، بإزاء الرذائل التي انغمس فيها الغرب إلى الآذان ، وعاش حياة الظلم والطغيان ، وصناعة الأسلحة النووية لتدمير المجتمعات وتخريب العباد والبلاد .

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٣/١١/٢٣هـ ٢٠١٢/١٠/١٠م

التوجيه الإسلامي:

الأصول المهمة في الكفر والتكفير

بقلم : الأستاذ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام

• هذه أصول معتبرة وضوابط موثقة وقواعد مهمة في أنواع الكفر بينهما العلماء ، استنبطوها من أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية من المصدرين الأصليين في هذا الموضوع المهم ، وهذه القاعدة في أصلها جنس تشمل عدة قواعد وضوابط لا بد من معرفتها قبل ذكر أنواع الكفر بالقلب والقول والعمل ، حيث يترتب على فهم هذه القواعد والضوابط فهم موضوع الكفر والتكفير عند أهل السنة والجماعة ، واطراد قواعدهم وأصولهم فيه وعدم اضطرابها ، وهذه القواعد والضوابط كالتالي :

أولاً : الكفر اصطلاح وحكم شرعي محض ، مرده إلى الله في كتابه وإلى رسوله ﷺ في سنته الصحيحة الثابتة عنه ، وليس مبناه على الهوى والتشهي وسوء الظن أو الفهم .

فمن كفرهم أو كفرهم رسول الله ﷺ علنياً أو جنساً أو صفة وجب وتعين تكفيرهم وما لا فلا ، وليس لأحد ابتداء تكفيرهم دون سند شرعي صحيح وصريح .

فمن كفر في النص الشريف وحياً على سبيل التعيين : إبليس وفرعون ممن كفر جنساً ، المشركون وأهل الكتاب وقوم عاد وثمود ونحوهم ، وممن كفر وصفاً المستهزئ بالله أو بآياته أو برسوله ، والمحكم لغير ما أمر الله ، والساحر والكاهن ومدعي علم الغيب ونحوهم .

ثانياً : إن الكفر كالإيمان له شعب كثيرة فكما صح في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برفعه إلى النبي ﷺ أنه قال : "الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إما طة الأذى عن الطريق ،

والحياء شعبة من شعب الإيمان" .

وكذلك الكفر له شعب وأنواع كثيرة ، ضابطها ما سمي في كتاب الله وسنة رسوله كفراً ، دون تسمية غيرهما .

ولذا يقرر ابن القيم – رحمه الله – في كتاب الصلاة ص/٥٣ – ٥٤ قائلاً : فصل معرفة الصواب في هذه المسألة مبني على معرفة حقيقة الإيمان والكفر ، ثم يصبح النفي والإثبات بعد ذلك ، فالكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما ، خلفه الآخر ، ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة ، وكل شعبة منها تسمى إيماناً ، فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والحج والصيام ، والأعمال الباطنة كالحياء ، والتوكل والخشية من الله ، والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق ، فإنه شعبة من شعب الإيمان ، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ، ما يلحق بشعبة الشهادة ، ويكون إليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ، ويكون إليها أقرب .

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان .

وشعب الإيمان قسمان ، قولية وفعلية ، وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية ، ومن شعب الإيمان القولية : شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان ، فذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان ، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية ، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً ، وهي شعبة من شعب الكفر ، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم ، والاستهانة

بالمصحف ، فهذا أصل .

وها هنا أصل آخر ، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب ، وهو الاعتقاد وقول اللسان ، وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب ، وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب ، لم تنفع بقية الأجزاء ، فإن تصديق القلب شطر في اعتقادها . وإنما نافعة ، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق ، فهذا موضوع المعركة بين المرجئة وأهل السنة ، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان ، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ، بل ويقرون به سراً وجهراويقولون : ليس بكاذب ، ولكن لا نتبعه ، ولا نؤمن به .

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب ، فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ، ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره ، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح ، إذ لو أطاع القلب وانقاد ، أطاعت الجوارح ، انقادت ، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة ، وهو حقيقة الإيمان ، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق ، كما تقدم بيانه ، وإنما هو التصديق الملزم للطاعة والانقياد ، وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه ، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه ، والعمل بموجبه ، وإن سمى الأول هدى ، فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء ، كما أن اعتقاد التصديق ، وإن سمي تصديقاً ، فليس هو التصديق المستلزم للإيمان ، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته .

ملاحظة وتبينة :

ولما كان للكفر شعب كثيرة ، فإن هذه الشعب متفاوتة في الكفر ، فمنها الكفر الأكبر ، كسب الله رسوله ﷺ وسب دينه ، وادعاء علم الغيب

وأمثال ذلك .

ومنها الكفر الأصغر كسب المسلم وشتمه ، وكقتل المعصوم في دمه وماله وعرضه ، فإن هذا من الكفر الأصغر الذي لا يخرج عن الملة ولا يوجب الخلود في النار ، واستحلال دم فاعله ، وإنما هو كبيرة من عظائم كبائر الذنوب .

• لا يزال الحديث موصولاً في ذكر الأصول المهمة في الكفر وقد مضى أصلان مهمان معتبران هما أولاً : الكفر حكم شركي محض ، والثاني أن الكفر والإيمان لهما شعب كثيرة متفاوتة في الإيمان والكفر تفاوتاً عظيماً له أثره في الحكم .

إن الكفر نوعان : كفر أكبر مخرج عن الملة ، ويحبط العمل وموجب للخلود في النار لا يغفر لصاحبه وينفي عن صاحبه اسم الإيمان أصلاً وكمالاً كالسحر وسب الله أو دينه أو الإعراض عن رسول الله ... وكفر أصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط العمل ولا يوجب الخلود في النار ، وهو تحت مشئية الله في مغفرته ، ولا ينافي أصلاً الإيمان ، بل ينافي كماله وحكمه حكم الكبائر من الذنوب ... كالنياحة والطعن في الأحساب وسباب المسلم وقتاله كفر .. الخ .

كما أن الشرك والظلم والفسق والجهل والنفاق نوعان أكبر وأصغر .

هذا الأمر مشهور ومعروف بين العلماء قد تواردوا عليه ولا أظن ذا علم ينكره أو يتطرق إليه شك فيه .

ومضى في السطور الماضية عن ابن القيم ما يؤيده .

أن هناك علاقة بين الكفر والشرك وهي عموم وخصوص فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً .

فالذبح لغير الله والنذر له والخوف منه خوف عبادة ، شرك مع الله في تلك العبادات وهو كفر أكبر مخرج عن الملة ومناقض للإيمان .

أما سب الله ورسوله ودينه أو الاستخفاف بشرعه أو بالمصحف ونحو ذلك فهو كفر مخرج عن الملة ولا يعد شركاً في الاصطلاح .

وكذلك الإعراض والاستكبار أو الشك والارتياب فهو كفر أكبر ولا يسمى شركاً .

إن الكفر ورد في موارده المعتبرة في نصوص الوحيين الشريفين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

إن أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفير جداً ، ويجعلونه حقاً لله ولرسوله ﷺ فقط لا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحد إلا من كفره الله أو كفره رسوله .

ولذا يقول الطحاوي في عقيدته المتلقاة بالقبول ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ... ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله" .

وكذا قرره ابن تيمية في عقيدته الواسطية المتلقاة بالقبول حيث يقول :

ومن أصول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما يفعله الخوارج بل الإخوة الإيمانية ثابتة من المعاصي ، إلى آخر الفصل .

وإنما أهل البدع والأهواء هم الذين شعارهم تكفير من خالفهم فضلاً من لمزهم وتعييرهم ، ولذا يقول رحمه الله في "الكيلانية" ٤٦٦/١٢ .

وأما تكفير قائل هذا القول فهو مبني على أصل لا بد من التنبيه عليه بسبب عدم ضبطه اضطربت الأمة اضطراباً كثيراً في تكفير أهل البدع .. كما اضطربوا قديماً وحديثاً في سلب الإيمان عن أهل الفجور والكبائر .

وصار كثير من أهل البدع مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية يعتقدون اعتقاداً هو ضلال ، يرون كفر من خالفهم في ذلك ، فيصير منهم شر قوي من أهل الكتاب في كفرهم بالحق وظلمهم للخلق ، ولعل أكثر هؤلاء المفكرين يكفر بـ "المقالة" التي لا تفهم حقيقتها ولا تعرف حجتها .

وبإزاء هؤلاء الكفر بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه وما عرفوه منه لا يبينونه للناس بل يكتمونه ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم ، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذماً

مطلقاً ، لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدع والفرقة .

أو يقرون الجميع على مناهجهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي تسوغ النـــزاع ، وهذه طريقة قد تغلب على كثير من المرجفة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة ، كما تغلب الأولى على كثير من أهل الهراء والكلام ، وكلتا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة ...

ويرحمه الله فإنه بهذا القول وهذا التقرير والتوصيل كأنه يعيش معنا بين أظهرنا فإن هذه الطوائف وهاتيك المقالات المتعارضة لا تزال تطرح وتذاع ويدعى لها إما جهلاً ، والمقصود أن المبتدعة على تنوع مشاربهم وتباين أصولهم ومناهجهم يروج عندهم تكفير مخالفيهم عند أدنى مخالفة ...

في حين يتخرج أهل السنة والجماعة من تفكير المخالف حرجاً شديداً ، لأن التكفير حكم شرعي ، وهو حق لله ورسوله ﷺ ، وهو خطب في الإثم ديناً وعاقبة ولذا فهم لا يؤاخذون بلوازم الأقوال في التكفير حتى يكون الكفر صريحاً لا لبس فيه كما لا يعولون في التكفير على الظنون والأوهام والأهواء ، وإنما العدل عليه الأمر الذي لهم ... الله سلطان وحجة ظاهرة وبرهان .

إن أهل السنة والجماعة يفرقون بين الكفر المطلق والكفر المعين ، ثم القطع الكافر المعين بالنار ، فهذه ثلاث مراحل بينها فرق عظيم ومؤثر في العلم والتطبيق .

فإنهم يقرون الكفر الأكبر غير معنيين ثم لهم شروط وضوابط وتورع في إيقاع الكفر الأكبر على المعين ، فلا بد من تكفير المعين من اجتماع الشروط فيه وانتفاء الموانع عنه ..

ثم هم إذا حكموا على المعين بالكفر الأكبر المخرج من الملة والتفسير فإنهم يوقعون عليه الدنيا ، أما حكمه في الآخرة فلا يجوز أن يكون خالداً مخلداً في النار ولقد اعتنى بهذه المسألة تفصيلاً أثر الدعوة السلفية المعاصرة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أبنائه وتلاميذهم حيث أجلوها وحققوها تحقيقاً لا نكاد نجدهم عند غيرهم ، فرحمهم الله رحمة واسعة وأجزل لهم الأجر والمغفرة .

القرآن العظيم والمخلوقات الكونية

بصائر إعجازية جديدة في القرآن حول الحضارات الخارجية

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ سعيد الرحمن بن محمد شهاب الدين الندوي
(الأمين العام للأكاديمية الفرقانية بنجلور ، الهند)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

بما أن القرآن يكشف القناع عن عدد الأراضي في قدر هائل مدهش لا في مجرد سمائنا وحدها ، بل في السماوات الستة الباقية أيضاً فيثور طبعاً في النفوس هذا السؤال : ما هو الهدف الإلهي الذي هو كامن وراء خلق جميع هذه الأراضي ؟ وليكن من بالكم في هذا المقام على وجه الخصوص أن أرضنا هذه لم يمنح لها في موضع ما من القرآن أي اعتبار خاص ومركز بالغ الأهمية بالمقارنة مع الأراضي الأخرى التي لا تحصى ، بل إنما سائر الأراضي بالنسبة له على سواء ، وقد وُضع لجميعها مقياس واحد ، وباعتبار أن القرآن يكشف هذه الكثرة من الأراضي في العصر الراهن على المتأخرين بوجه إعجازي منظم للغاية بعد أن أخفاها على المتقدمين ، هذا السؤال يزداد أهمية ونفعاً أيما ازدياد ، فلذلك سنحاول الآن استعراض ما ورد في القرآن منبع الرشد والعقل من الآيات المحكمة بهذا الصدد من جديد ونقدمها فيما بقي من البحث الآتي على ترتيب وتبويب منطقي مما يتجلى منه تلقائياً ما يمكن وراء هذا التخطيط الدقيق من حكمة إلهية ، فها هو ذا القرآن يبدأ بهدايته إلى هذا السبيل قائلاً بصوته المجلجل :

(١) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ﴾ (سورة ص الآية/٢٧) .

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ (سورة الدخان الآية/٣٨) .

إن كلا من التركيبين (السماء والأرض وما بينهما) و (السماوات

والأرض وما بينهما) يدلان على السماوات السبع وجميع ما يوجد فيها من الأراضي الأخرى – كما قد مضى البحث حول إثبات ذلك في الباب السابق مدللاً ، فهذه الآيات دليل بين على أن ما خلق الله تعالى من السماوات وسائر الأراضي إنما هو لأجل الحصول على هدف مهم وغاية عظمى ، يعني أن وراء كل أرض من أراضي الكائنات مقصداً عظيماً وحكمة بالغة ، أما الاعتقاد بخلق السماوات أي الكائنات عبثاً أو الاعتقاد بظهورها إلى حيز الوجود تلقائياً (Theory of Spontaneous Creation) فيُعد مما هو من شيم أهل الكفر والضلال – كما أشار الله تعالى إليه في قوله : ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، فما هو الغرض الإلهي إذن وراء هذا الخلق ؟ يتعرض القرآن لإيضاحه بقوله :

(٢) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (سورة الشورى الآية/٢٩) .

تركيب (السماوات والأرض) في هذه الآية يوضح لنا مرة أخرى أن مدلولها هاهنا أيضاً يشمل جميع السماوات وما يوجد فيها من سائر الأراضي ، فذلك دليل بين على أن هذه (الدابة) قد بثت ونشرت في جميع الأراضي من السماوات السبع ، فما هو المراد الآن بكلمة (دابة) يفسرها موضع آخر من القرآن هكذا :

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة النور الآية/٤٥) .

هكذا ثبت ببيان القرآن أن مدلول (دابة) يعم كل حيوان سواء أكان هو ممن يدب أو يمشي برجلين أو أربع أرجل ، فهذا التعريف يشمل عمومه جميع الحيوانات الأرضية بما فيها الإنسان الماشي على رجلين بذاته أيضاً ، والفقرة اللاحقة من الآية بنفسها (وهو على جمعهم) أيضاً دليل على دخول الإنسان في مفهوم (دابة) وذلك لأن ضمير الجمع المذكر الغائب الخاص بذوي العقل هنا لا يعود إلى (دابة) ، ومن أصول النحو أنه إذا جمع مراد أي كلمة بين ذوي العقل وعكسه رجح حمله على أولهما تغليباً ، وكذلك في ثلاثة مواضع في آية سورة النور المذكورة أعلاه ، لا يعود نفس الضمير إلى (دابة) ، والآن تأملوا

في الآية التالية مما يطلق على الإنسان اسم (دابة) بصراحة .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنفال الآية/٥٥) .

إضافة إلى ذلك فأكثر المفسرين المتقدمين لقد أجمعوا على شمول الإنسان في مدلول (دابة) ، وفي طليعتهم المفسر البارز الحافظ ابن الكثير صاحب التفسير بالمأثور ممن قد سلم وجود الإنسان والملائكة في أرجاء السماوات والأرض أيضاً مستدلاً بعموم الآية من سورة الشورى :

"وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في أرجاء أقطار السماوات والأرض .

وهكذا نقل الإمام الطبري والسيوطي – من الأئمة المفسرين العباقرة ممن يعتمدون على نفس النقل والروأية – والإمام القرطبي في تفاسيرهم قول التابعي الشهير مجاهد من أنه يكون المراد به الناس والملائكة ، في حين أن إمام اللغة والأدب الزمخشري وإمام التفسير بالمأثور والدراية الرازي وإمام العقائد النسفي وأبو حيان وغيرهم قد قصدوا بذلك الحيوانات المختلفة التي تمشي في السماوات مشى الأناسي على الأرض :

"لا يبعد أن يقال إنه تعالى خلق في السماوات أنواعاً من الحيوانات يمشون مشى الأناسي على الأرض" .

مما تقدم يتبين على وجه أحسن أن وجود المخلوقات الحية في السماوات حسب الآية الحالية لا يزال حقيقة قد أجمع عليها أكثر المفسرين والسلف الصالحين إلا أن الحقائق بشأن هذه الحيوانات لما أنها لم تكن متجلية واضحة آنذاك فلذلك قصد بها بعض المفسرين "حيوانات تشبه الإنسان" وفق ما أدى إليه اجتهادهم ، وبعضهم جعل الإنسان على نحو مباشر في عداد هذه الحيوانات رعاية الدلالة اللفظية التي هي روح فهم القرآن ، وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن المفسرين – السابق ذكرهم – لقد كانت قد ثبتت عندهم سبع أراض على الأقل حتماً حسب الآية من سورة الطلاق المذكورة ضمن مقال سابق ولكنهم رغم ذلك لم يحاولوا فهم (دابة) إلا في مجرد إطار السماوات بدلاً من أن

يفهموها في إطار هذه الأراضي مما نتج منه هذا الاختلاف بين "الإنسان" و "حيوانات تشبه الإنسان" ، وكان ذلك بسبب أن الأراضي الأخرى من الكون حينذاك لم تكن تندرج في مفهوم هذا التركيب (السماوات والأرض) بل كان مفهومه مقتصراً على مجرد هذه الأرض وحدها ، فالآن حينما يثبت من ناحيتي الرواية والدراية كلتيهما وجود المخلوقات الحية في جميع السماوات والأراضي نحاول استعراض الآيات المختصة بهذا الموضوع من جديد لتتجلى ملامح هذه المخلوقات الكونية بمزيد من الوضوح ، وذلك مما يؤدي إلى رفع ما بقي بين هؤلاء المفسرين المتقدمين من الاختلاف :

(٣) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٤٩) .

إن تركيب الآية ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعرض أمامنا مرة أخرى كون وجود (دابة) في جميع السماوات وسائر الأراضي وتبين أيضاً وصفها بأنها من المخلوقات مما يسجد أمام معبوده الحقيقي ، فعلم من كونها ساجدة بأنها لا بد أن تكون من ذوي العقل ، ولا يفوتكم الساعة خاصة أن هذه الآية تعد (دابة) و (الملائكة) نوعين مختلفين من المخلوق من خلال الفصل بينهما بواو العاطفة ، لأن العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه تكون علاقة المغايرة ، فكل ذلك دليل على أن (الملائكة) مخلوق قائم بذاته لا يأتي في عداد (دابة) ، على هذا فالمخلوقات الثابت وجودها في جميع السماوات والأراضي وفق العدد السابق هي مخلوقات تسجد لله وتملك العقل والدرك وتختلف عن الملائكة تمام الاختلاف .

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (سورة الإسراء الآية/٤٤) .

إن ما أتي به في هذه الآية من اسم الموصول (مَن) الخاص بذوي العقل لأجل ذكر من يسبحون بحمد ربهم في جميع السماوات والأراضي وكذلك ما أعيد ضمير الجمع المذكر الغائب إلى أنفسهم إنما هو في الواقع شرح لما مَرَّ فيما سلف من أن هذا المخلوق الساجد أمام الله نفس المخلوق الذي ورد ذكره في الآية السابقة بوصف (دابة) فذلك دليل أيضاً على أن هذا المخلوق لا بد أن

يكون من ذوي العقل .

﴿وَلِلَّه مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (سورة النجم الآية/٣١) .

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة الجاثية الآية/٢٢) .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة المائدة الآية/٤٠) .

لا يعز بن عن البال أن الحديث هاهنا في هذه الآيات يساق في سياق جميع السماوات والأراضي ، ومما يبين الغرض من خلقهما مجازاة العباد على ما كسبوه من أعمال حسنة أو سيئة ، فمعنى ذلك أنه لا بد هناك في سائر الأراضي من مخلوقات ذات عقل ، مكلفة ، تستحق الثواب والعقاب على أعمالها ، فذلك دليل أيضاً على أن هذه المخلوقات غير الملائكة إذ أن الملائكة لا يستحقون عقاباً لكونهم معصومين عن الخطأ ، فبالجملة : المخلوقات الكونية التي ثبتت مما تقدم من الآيات هي مخلوقات تختلف عن الملائكة ، وهي ساجدة لربها ، مسبحة بحمده ، مستحقة للثواب والعقاب على أعمالها بوصفها مكلفة بالعمل .

ومن هنا فالإعلان عن كون هذه المخلوقات مستحقة للثواب والعقاب، يثير في النفوس هذا السؤال عما إذا كان هناك أيضاً تستمر سلسلة الإيمان والعقيدة والكفر والتكذيب بين هذه المخلوقات الكونية مما يجعلها صالحة للجزاء والعقاب ؟ فالآية التالية جواب عن نفس السؤال بكامل الوضوح والروعة :

(٤) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ * قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يونس الآية/٩٩ – ١٠١) .

هذه الآيات الثلاث من هذه السورة تبين ربط بعضها مع بعض وتكشف الستار عن أهم الحقائق الكونية بطريق إعجازي وتقدم ما يعوز الكفار من جدارة الإيمان بأسلوب منطقي ، فلذلك إذا أخذنا هاهنا من المفهوم بعين

الاعتبار ما استخلصناه من الآيات الخمس المتفرق بيانها فيتجلى منه أن كل كلمة واردة من الآية الأولى من العدد الحالي من كلمتي (كل) و (جميعاً) في الواقع مؤكدة بمفردها سيقت لأجل تأكيد اللفظين (من) و (الأرض) بالترتيب ، وهذا التركيب (الأرض جميعاً) كالدلالة على جميع الأراضي الموجودة في السماوات مطرد الاستعمال ، و قد تقدم له مثال في العدد الأول من الباب الأول أيضاً (١) ، وهكذا له نظائر أخرى سنأتي بها في الصفحات الآتية إن شاء الله ، فتقدير الكلام هاهنا كذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ ...﴾ ، من هذه الآية يبدو لنا أنه يوجد حقاً في جميع الأراضي من المخلوقات ما يتسم بصفتي الإيمان والكفر كلتيهما ، فهي دعوى على هذا الدليل توجه الدعوة في الآية الأخيرة إلى الكفار للتفكير فيما يحتوي عليه السماوات والأراضي من الموجودات بقول ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ، وكذلك يطلعون على أن عنادهم على الكفر وإصرارهم على الإنكار ليس من أمر طريف وحادث عجيب واقع على مجرد هذه الأرض وحدها بل إن هذه السلسلة من التكذيب والإنكار تستمر في الأراضي الكونية الأخرى كذلك ، وإن الكفار والمشركين هناك رغم ما بعث إليهم الرسل بالبينات قد بقوا على إنكارهم وعنادهم مستمرين ، فمن ذلك يتبين على وجه أحسن أن فقرة ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هذه في الآية الأخيرة موضحة ومفسرة لما كان في تركيب الآية الأولى (من في الأرض كلهم جمعياً) من المعاني التي تدل على تعدد السماوات والأراضي .

وتترشح من كلمتي (الآيات) و (والنذر) الواقعتين في هذه الآيات هذه الحقيقة أيضاً ، وهي أن سلسلة النبوة والرسالة وكذلك نزول الكتب وظهور المعجزات متواصلة بين هذه المخلوقات الكونية أيضاً بكامل الرونق والبهاء ، ولايغيين عن البال أن هذه الآية تقوم بالموازنة بين الكفار ممن يعيشون على أرضنا وبين من يعيشون على الأراضي الأخرى وكل هذا الحديث يحصل في سياق (الناس) الذي هو جمع "الإنسان" ، فلاحظوا الآن الآية التالية التي تعلن

(١) لعله يشير إلى كتاب ألفه في الموضوع .

الاستغناء بحق المخلوقات الكونية عن الإنسان المعاصر :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة النساء الآية/١٧٠) .

ليعلم أن (ما) ها هنا اسم للموصول قد يأتي لذوي العقل أيضاً كما قد استعمل في الآية من سورة النجم تحت العدد الثالث عشر وكذلك وردت الآية التالية للذات الإلهيه بالذات :

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (سورة الكافرون الآية/٣) .

ولما أن المخلوقات في سائر الأراضي الكونية مثل مخلوقات أرضنا مكلفة لأحكام الله ومتصفة بصفتي الإيمان والكفر كلتيهما فيظهر من ذلك أنه لابد أن يكون وقوع الهلاك والبوار مستمراً على الكفار مجازاة على كفرهم وإنكارهم على ما جرت عليه سنة الله ، وفيما يلي من الآيات ما يصور نفس الحقيقة بأساليب فريدة مختلفة تبعث على العبرة :

(٥) ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

(سورة الأنبياء الآيات/١١ – ١٧) .

جميع هذه الآيات بل الآيات البدائية من سورة الأنبياء من أولها إلى ٢٩/آية تفيد المعاني التي نتوخاها في هذا الموضوع وتعكس قصة الخلق والفناء الجارية في جميع الأراضي الكونية بأسلوب تحذيري ، ففوز بيان قصم القرى الكثيرة هذا الإعلان من الله تعالى بلهجة متحمسة عن أنه لم يخلق السماء والأرض وما بينهما في اللهو واللعب إنما هو في الواقع إشارة بليغة إلى أن هذا الحديث لا يدور حول مجرد مستوى الأرض بل إنما هو حول مستوى الكون وفي سياق جميع الأراضي ، ومما يقوي هذه النظرية دليل آخر ، وهو بيان نوع واحد من العذاب لهلاك جميع القرى التي لا تحصى بقوله تعالى ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ

حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ مع أن كل قوم ممن هلك قد أهلك من نوع خاص من العذاب ، فمثلاً أهلك قوم نوح بإعصار شديد وقوم عاد بريح صرصر وقوم ثمود بالصيحة وقوم لوط برشق الحجارة عليهم وآل فرعون بإغراقهم في اليم ، فما هذا العذاب الوحيد في إطار جميع السماوات الذي يجعل سائر المخلوقات حصيداً خامدين سنتعرض لإيضاحها بالتفصيل في موضع آخر .

وليعلم هنا أن (القرية) عبارة عن المسكونة والمستوطنة ، فإذا أتى هذا اللفظ في سياق أرضنا وحدها فكون المراد به حينئذ أي منطقة من مناطقها المختلفة من بديهيات الأمور ، فمثلاً قرية قوم عاد أو قرية قوم ثمود أو قرية لوط ، على أن الآن حينما قد تم الكشف عن وجود الأراضي في سائر السماوات فكون المراد به سياق جميع هذه الأراضي أرض بكاملها أمر ظاهر بديهي أيضاً ، وذلك لأن أرضنا لا تحل من مجرد مجرتنا محلها ما تحل أدنى قراها من نفسها فضلاً عن السماوات السبع ، والذين يدركون مفهوم "القرية العالمية" (Global Village) في عصر العلم والمعرفة هذا لا يواجهون أي صعوبة في فهم مرادنا بتاتاً ، فإذا قد أدرك الإنسان الذي لم يعط من العلم إلا حظاً يسيراً محدوداً هذه الحقيقة فكيف بالله العليم الخبير الذي قد خلق كل شيء ، فلذا هذا التعبير القرآني ليس في الواقع إلا صورة ناطقة لهذا القول "القرآن ذو وجوه" ، وما قد ذكرنا في الباب السابق أن القرآن يأتي بألفاظ وتعبيرات مجازية أيضاً لإثبات كثرة الأراضي هذا أول مثال منها قد استعمل على سبيل الكناية هاهنا ، ومما هو مثال آخر في هذا المعنى قوله تعالى فيما يلي :

(٦) ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (سورة الطلاقالآيات/٨ – ١٢) .

لا يغيبن عن البال الآن ما قد قدمنا من البحث تحت الرقم السابع من الآية بما أنه جزء من العدد الحالي ، ثم تأمل كم يوجد بين الرقم السابق والرقم الحالي من الانسجام والمماثلة ، فإذا كان سيق هناك التعبير ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ فكذا سيق هاهنا مثل ذلك التعبير ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾ للتركيز على نفس الأمر ، ثم إذا كان أقيم الدليل هناك على كون بيان التعذيب والإبادة على مستوى الكون بدلاً من المستوى العالمي بقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعبينَ﴾ فيقام الدليل هنا على ذلك بقوله ﴿اللَّهُالَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ، فيتضح من ذلك أن كل واحدة من هاتين الفقرتين الأخيرتين بمثابة مفسر للآخر ومبين له ، فلذلك تأكيداً على هذه الحقيقة بمزيد من الوضوح يفقر على أثر ذلك تواً إلى بيان أن الأحكام والقوانين تجري في تلك الأراضي أيضاً كما في هذه الأرض بألفاظ واضحة بقول ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ ، وإضافة إلى ذلك فما يقوي هذه النظرية بمزيد من الوضوح هو قوله تعالى ﴿عَذَاباً نُكْراً﴾ الذي أورد لتعليل ما ورد في الرقم السابق من ذكر نزول نوع واحد من العذاب على مستوى الكون أن هذا العذاب يكون نكراً غريباً بالنسبة للجيل الإنساني المعاصر بحيث لم يواجهه هو من قبل أبداً .

وأيضاً فمما قد أثبتنا من وجود الأراضي العديدة استدلالاً بالآية ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ المذكورة تحت الرقم السابع هاهنا سياقه ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ بمنزلة دليل بين قوي له مما يزيد ما أردنا هناك من المفهوم قوة وتوكيداً ، فعلم أن الفقرة الأخيرة إن كانت مبينة لما كمن في الفقرة الأولى من مفهوم الكثرة الهائلة فالفقرة الأولى أيضاً موضحة مدلول الفقرة الأخيرة الحقيقي .

(للبحث صلة)

****

حول إقامة حدود الله

بقلم : الأستاذ اشرف شعبان أبو أحمد
جمهورية مصر العربية

لقد اعتنى الإسلام بإصلاح نفس الإنسان ، وبإعمار قلبه بخشية الله ، وبأن ينشأ فيه الميل إلى طاعة الله ورسوله ، وعمل ما أمرنا الله به والبعد عما حرمه علينا ، لما في ذلك من صلاح الدين والدنيا ، ولما في ارتكاب الأفعال المحرمة من أضرار بالفرد والمجتمع ، كما أن الإسلام بنظامه المتكامل سد منافذ ارتكاب أي من المحرمات ، ويسر سبل الابتعاد عنها ، وعند ما تفشل كافة الروادع في منع الفرد من تجاوز حده فإن الإسلام يلجأ إلى العقوبة (١) .

وتقسم العقوبات من حيث وجوب الحكم بها إلى : أ – عقوبات مقدرة : وهي العقوبات التي حدد الشارع نوعها ومقدارها ، وهي عقوبات الحدود والقصاص والدية ، ب – عقوبات غير مقدرة : وهي العقوبات التي ترك للقاضي تحديد نوعها ومقدارها ، وهي عقوبات التعازير (٢) .

وما يهمنا منها في موضوعنا هذا هو علاقة إقامة الحد بسعة الرزق ، وتبدو هذه العلاقة في النقط التالية :

أولاً : إذا أقيمت الحدود ، ظهرت الطاعة لله ، ونقصت المعصية ، فحصل الرزق والنصر ، هذا لأن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو ، كما يدل عليه الكتاب والسنة ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ترغيباً في إقامة الحدود (حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً) رواه النسائي (٣) .

ثانياً : شدة العقوبة عامل زجر ومنع عن ارتكاب أو تكرار الجريمة ،

(١) الإسلام سعيد حوى ج/٣ ص/١٢٨ . (٢) الإسلام سعيد حوى ج ص/١٨٤ .
(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج/٢٨ ص/٣٠١ – ٣٠٢ .

والمجتمع الذي تقل فيه الجريمة أو تنعدم يتفرغ للتنمية والنهضة ، وتختلف العقوبات في الشريعة الإسلامية باختلاف الجرائم ، وقد وضعت هذه العقوبات على أساس محاربة الدوافع الخاصة بكل جريمة ، إذ أن هذا هو طريق الشريعة في اختيار نوع العقاب وكميته ، فالدوافع التي تدعو إلى الجريمة ، تحارب بالدوافع التي تصرف عنها ، فالجريمة التي تدفع إليها اللذة والشهوة تعاقب بعقوبة تتصف بالألم ، ولا يمكن أن يستمتع الإنسان بنشوة اللذة ، إذا تذوق مس العذاب ، أو توقع أنه سيذوقه ، ولذا يتكون لديه ما يبعده عن التفكير في اقتراف الجريمة ، وبهذا تكون الشريعة قد حاربت الجريمة في النفس ، قبل أن تحاربها في الحس ، وعالجتها بالعلاج الوحيد الذي لا ينفع غيره ، فالزنا في الشريعة الإسلامية له ثلاث عقوبات هي الجلد والتغريب والرجم ، الجلد والتغريب هما عقوبة الزاني غير المحصن ، أما الرجم فهو عقوبة الزاني المحصن ، قال تعالى ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة النور الآية/٢) ويعاقب الزاني غير المحصن بعد جلده بالتغريب عاماً ، والمصدر التشريعي لهذه العقوبة حديث النبي ﷺ (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام) رواه مسلم ، أما الرجم فهو عقوبة الزاني المحصن ، رجلاً كان أو امرأة ، ومعنى الرجم القتل رمياً بالحجارة ، ومن مصلحة المجتمع أن يفهم أفراده أن العقوبة تؤلم ، وتدعو للخوف ، وذلك للردع ، وقد بلغت آية الزنا الغاية في إبراز هذا المعنى حيث جاء بها ﴿**وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ (سورة النور الآية/ ٢) وحيث جاء بها أيضاً ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة النور الآية/٢) ، .

وللقذف في الشريعة عقوبتان : إحداهما أصلية وهي الجلد والثانية تبعية وهي عدم قبول شهادة القاذف ، والأصل في عقوبتي القذف قول الله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً**﴾ (سورة النور الآية/٤) ولا تعاقب الشريعة على

القذف إلا إذا كان كذباً واختلاقاً فإن كان تقريراً للواقع فلا جريمة ولا عقوبة (٤) ويحد من شرب خمر أو أي مسكر ثمانين جلدة وعلي ملأ من الناس ، وقد أعاد عمر ابن الخطاب الحد على ابنه عمرو لأنه قد شرب وهو في مصر ، فجلده عمرو ابن العاص وإلى مصر حينذاك في فناء بيته ، ولم يقبل الخليفة فاستقدم ابنه وأعاد عمر الحد على ابنه فمات (٥) وتعاقب الشريعة على السرقة ، بالقطع ، لقول الله تعالى في سورة المائدة آية/٣٨ ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ**﴾ ومن المتفق عليه بين الفقهاء ، أن لفظ أيديهما يدخل فيه اليد والرجل ، فإذا سرق السارق أول مرة قطعت يده اليمنى ، فإذا عاد للسرقة قطعت رجله اليسرى ، وقطع اليد من مفصل الكف ، وقطع الرجل من مفصل الكعب ، وعقوبة القطع عقوبة إيجابية في القضاء على السرقة ، فهي تردع من تسول له نفسه بالسرقة ، كما أن قطع اليد يعوق السارق على الاستمرار في مهنة السرقة ، أما غير عقوبة القطع فقد فشل في محاربة جريمة السرقة ، وتشهد الاحصائيات العالمية على هذا الإخفاق الذريع ، كما أن الشواهد الواقعة تحت أعيننا تدل على ازدياد موجة السرقة في جميع أنحاء العالم حتى أصبحت السرقة مهنة لم يبق لها إلا أن يعترف بها رسمياً كبقية المهن ، وكل ذي عينين وأذنين وله ذرة من العقل ، يرى ويسمع أنباء السرقات الفردية والجماعية التي لها شكل العمليات المنظمة ، والتي توسعت حتى أخذت الطابع الدولي ، بل أصبح لبعضها قوى لا تعادلها قوة الحكومات والسلطات الرسمية ، وتملك من الوسائل والإمكانيات ، بما يعصب على كثير من الدول تملكها ، كل ذلك بسبب فشل العقوبات الوضعية بأنواعها في علاج جريمة السرقة والتي قد تقتصر على الحبس مدة معنية ، يخرج السارق بعدها ليمارس نشاطه وهو بكامل الصحة والعافية (٦) .

كما أن الإسلام شدد في عقوبة الحرابة ، والحرابة مصدر حارب ويعني

(٤) الإسلام سعيد حوى ج/٣ ص/١٧٥ – ١٨٠ .
(٥) القانون الإسلامي في مواجهة التحديات د. عبد الجليل شبلي ص/٤٨ – ٤٩ .
(٦) الإسلام سعيد حوى ج/٣ ص/١٧٥ – ١٨٠ .

بها عمل من يخرج على القانون عمداً ، فيسرق أو ينهب أو يعتدي على أعراض الناس ، وهو بعمله قد حارب الله ورسوله ، كما نصت الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاف أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ (سورة المائدة الآية/٣٣) وتسمى أيضاً قطع الطريق ، لأنها تخيف طريق الناس ، وتجعلهم ينقطعون عن المشي فيه ، وفي الآية الكريمة كما هو واضح أربعة أنواع من العقوبات هي القتل والصلب وهو قتل يجمع إزهاق الروح وتعذيب الجسد ، وقطع الأيدي والأرجل من خلاف أي قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، والنفي من الأرض أي أن يخرجوا من البلد الذي هو فيه إلى بلد آخر ، فيسلمون لحاكم يجعلهم تحت رقابته ، ويعلم الناس بحالهم ، وبذلك تضعف قواهم وتوهن شوكتهم ، والسجن نفي أيضاً وهو الذي اختاره أبو حنيفة في تفسير النفي هنا ، وهذه العقوبات متروكة للحاكم ، يختار منها ما يراه رادعا ، وتسقط كل هذه العقوبات إذا تاب قاطع الطريق وأعلن توبته قبل أن يقبض عليه ، وذلك عملاً بالآية ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية/٣٤) ولا يترتب على سقوط هذه العقوبة سقوط حق الآدميين المعتدى عليهم ، فيرد المال الذي نهب ، ويتحمل أرش الجرح ، أما القتل فلا تسقط عقوبته ، ولكن يختلف وضع الجاني أمامها فهو في حالة عدم توبته يموت مرتداً أو عاصياً كما جاء في الآية ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور الآية/٣٣) وفي حالة التوبة يكون القصاص كفارة له ولا عذاب له في الآخرة (٧) .

وجعل الإسلام للردة عقوبتين : أصلية وهي القتل ، وتبعية وهي المصادرة ، وتعاقب الشريعة المرتد بالقتل ، والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

(٧) القانون الإسلامي في مواجهة التحديات ، د. عبد الجليل شلبي ص/٢٠ – ٢٣ .

وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢١٧) وقول النبي ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) ومعنى الردة ترك الدين الإسلامي ، والخروج عليه ، بعد اعتناقه ، فلا تكون الردة إلا من مسلم ، وعقوبة الردة التبعية هي مصادرة مال المرتد ، ويختلف الفقهاء في مدى المصادرة فمذهب مالك والشافعي والرأي الراجح في مذهب أحمد أن المصادرة تشمل كل مال المرتد ، ومذهب أبي حنيفة وبعض فقهاء المذهب الحنبلي أن مال المرتد الذي اكتسبه بعد الردة هو الذي يصادر ، أما ماله قبل الردة فهو من حق ورثته المسلمين ، كما تعاقب الشريعة على البغي بالقتل ، والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات الآية/٩) وقول النبي ﷺ (ستكون هنات وهنات إلا ومن خرج على أمتي وهم جميع فاضربوا بالسيف عنقه كائناً من كان) رواه مسلم ، مما سبق يتضح أن شدة العقوبة في الإسلام تقضي على بؤر الفساد ، ولا تعطي له الفرصة لكي ينمو ، وخاصة في تلك الجرائم التي تؤثر على استقرار وأمن المجتمع ، واللذان يؤثران بدورهما على الحالة الاقتصادية فالقتل عقوبة للحرابة "قطع الطريق" وللبغي وللردة ، وتقطيع الأيدي والأرجل عقوبة السرقة ، وهذه الجرائم إن لم تعاقب بهذه الشدة وترك لها العنان ، لتقوضت أركان المجتمع وعم فيه الفساد والخراب وتحول إلى غابة يفترس الكبير فيها الصغير ، ولنهبت المتاجر والمحلات ، ولسرقت الأموال واغتصبت الأراضي والعقارات والأملاك ، والجلد عقوبة للزاني غير المحصن وللقاذف ولشارب الخمر ، وكلها أيضاً جرائم تؤثر على النواحي الاجتماعية والروابط بين الناس ، وبالتالي ستؤثر بطريق غير مباشر على الإنتاج .

ثالثاً : إن بعض العقوبات على الجرائم تشتمل على دية أو كفارة مالية ، إما تدفع لأهل المجنى عليه أو للمساكين ، وهذا يعتبر مصدر رزق لهؤلاء وهؤلاء ، وهذه الجرائم التي تقع تحت مسمى جرائم القصاص والدية هي :

القتل العمد ، القتل شبه العمد ، القتل الخطأ ، الجرح العمد ، الجرح الخطأ ، والعقوبات المقررة لهذه الجرائم هي القصاص ، الدية ، الكفارة ، الحرمان من الميراث والحرمان من الوصية ، وقد جعلت الشريعة عقوبة القتل العمد والجرح العمد ، القصاص من الجاني ، ومعنى القصاص أن يعاقب الجاني بمثل فعله ، فيقتل كما قتل ، ويجرح كما جرح ، ومصدر عقوبة القصاص هو قول الله عز وجل في سورة البقرة الآية/١٧٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ وقوله جل شأنه ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ (سورة المائدة الآية/٤٥) وقول رسول الله ﷺ (من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين إن أحبوا فالقود وإن أحبوا فالعقل أي الدية) ، وقد جعلت الشريعة الدية عقوبة أصلية للقتل والجرح في شبه العمد والخطأ ، ومصدر هذه العقوبة القرآن والسنة ، فالله جل شأنه قال ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ (سورة النساء الآية/٩٢) والرسول عليه الصلاة والسلام يقول (ألا إن في قتل عمد الخطأ قتيل السوط والعصا والحجر مائة من الإبل) والدية مقدار معين من المال ، وهي إن كانت عقوبة ، إلا أنها تدخل في مال المجني عليه ، ولا تدخل في خزانة الدولة ، وهي من هذه الناحية أشبه بالتعويض ، وإن لم يكن للجاني أي أموال فيتحمل الدية عصبته أو بيت مال المسلمين على اختلاف الآراء ، أما الكفارة فالأصل فيها قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ (سورة النساء الآية/٩٢) والكفارة عقوبة أصلية وهي عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجدها أو يجد قيمتها يتصدق بها ، فعليه صيام شهرين متتابعين ، فالصوم عقوبة بديلة لا تكون إلا إذا امتنع تنيذ العقوبة الأصلية ، وظاهر النص أن الكفارة

شرعت في القتل الخطأ ، ومن المتفق عليه أنها واجبة في القتل شبه العمد .

والكفارة عقوبة لجرائم أخرى غير القتل هي : إفساد الصوم ، إفساد الإحرام ، الحنث في اليمين ، الوطء في الحيض ، الوطء في الظهار ، والكفارة الواجبة ليست واحدة في كل هذه الجرائم ، بل تختلف في نوعها ومقدارها وطريقة أدائها باختلاف الجريمة ، وعقوبة الكفارة قد تصحبها عقوبة مقدرة أخرى كما هو في حال القتل الخطأ فعقوبته الدية والكفارة معاً ، وكلاهما عقوبة مقدرة ، وقد تصحب الكفارة عقوبة غير مقدرة أي عقوبة تعزيرية كما هو الحال في الظهار ، والكفارات التي فرضتها الشريعة عقوبات جنائية هي العتق والإطعام والكسوة والصيام ، المقصود به عتق رقبة أي تحرير أحد الأرقاء فإن لم يجدها تصدق بقيمتها ، الإطعام : والمقصود به إطعام مساكين ، وتختلف كفارة الإطعام باختلاف الجرائم ، فهي في كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين ، وفي إفساد الصوم إطعام ستين مسكيناً ، ويجزئ في الإطعام أن يكون من أوسط ما يطعم المطعم أهله ، الكسوة : وهي لم ينص عليها إلا في كفارة اليمين ، ولا يجزئ في الكفارة أقل من عشرة مساكين ، لقوله تعالى ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ (سورة المائدة الآية/٨٩) ، الصيام : أي صيام الجاني ، والصيام لا يكون إلا في حالة العجز عن الكفارات الأخرى ، وتختلف مدة الصيام باختلاف الجريمة ، فهو في كفارة اليمين ثلاثة أيام ، وفي القتل الخطأ صوم شهرين ، ومن المسلم به أن الصيام لا يجوز إلا في حق المسلم لأنه عبادة ، كما أن الكفارات في الأصل نوع من العبادة لأنها عبارة عن عتق أو إطعام مساكين أو صيام ولذلك تسمى بالعقوبات التعبدية ، والحرمان من الميراث عقوبة تبعية تصيب القاتل تبعاً للحكم عليه بعقوبة القتل ، والأصل في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (ليس للقاتل شيء من الميراث) وقد اختلف الفقهاء كثيراً في الحرمان من الميراث ، والحرمان من الوصية عقوبة تبعية والأصل فيها قول الرسول عليه الصلاة والسلام (لا وصية لقاتل) وقوله (ليس لقاتل شيء) وكذلك اختلف الفقهاء في تفسير هذين النصين وتطبيقهما ، كما أن هناك الجزء الثاني من

العقوبات وهي العقوبات الغير مقدرة ، وترك للقاضي تحديد نوعها ومقدارها وهي عقوبات التعازير ، والتعزير هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ، أي هو عقوبه على الجرائم التي لم تضع الشريعة لها أي عقوبة مقدرة ، وتبدأ بالنصح والإنذار وتوقيع غرامه مالية وتنتهي بأشد العقوبات كالحبس والجلد بل قد تصل للقتل في الجرائم الخطيرة ، ويترك للقاضي أن يختار من بينها العقوبة الملائمة للجريمة ، ولحال المجرم ولسوابقه ، ويعاقب بالتعزير على جرائم الحدود والقصاص والدية عند امتناع العقوبة الأصلية لهذه الجرائم أو إضافة للعقوبة الأصلية لهذه الجرائم (٨) .

رابعاً : إن العقوبات التي شرعها الإسلام لا تشمل على عقوبة الحبس إلا في حالات ثانوية ، وفي الجرائم البسيطة وبالتالي يقل عدد المحبوسين ، والحبس بوضعه الحالي يكلف البلد ميزانيات ضخمة ونفقات باهظة ، ونجد أن رسول الله ﷺ لم ينشئ سجنا ليؤدب فيه المنحرفين ، وإنما أنشأ شيئاً آخر ، وهو أن يسجن الذي جرم وهو حر في المجتمع ، فهو لا يسجن المجرم ولكن يسجن كل المجتمع عنه ، يعيش بانطلاق حريته بين الناس وهو غريب عنهم ، فيقول للناس اعزلوا هذا الذي انحرف عن مجتمعكم ، فحين يصدر الرسول عليه الصلاة والسلام ، حكمه بعزل المنحرف عن المجتمع ، يستجيب المجتمع كله فلا مودة ولا ود ولا سلام ولا كلام مع منحرف ، بل والأكثر من ذلك أنه يأتي إلى أهل المنحرف أي في بيته ، فيأمره هو ألا يقرب أهله ، وهذه هي عظمة التشريع حين يتسامى ، فلا يعزل المنحرف وحده إنما يعزل عنه المجتمع ، ففي غزوة تبوك ، لما تخلف ثلاثة نفر ، لم يسجنهم ولكنه عزل الناس عنهم وهم في المجتمع بالصورة السابقة ، والسجون بوضعها الحالي تكلف ميزانية الدول الكثيرة ، وهذه الدول أحوج لهذه الأموال لتنفقها في عمل منتج أو تصرفها على الشرفاء من أبناء المجتمع ، متى وجدت عقوبة أخرى تنوب عن السجن ، كالتي شرعها الإسلام ، فمثلاً ارتفعت جملة المبالغ التي أنفقت على

(٨) الإسلام سعيد حوى ج/٣ ص/ ١٨٠ – ١٩٠ .

الأمن العام الداخلي في مصر بصورة كبيرة فاقت في نموها معدلات النمو للناتج القومي المحلي الإجمالي ، فقد ارتفع إجمالي الإنفاق على الجهاز الأمني من١٧,٥ مليون جنيه عام ١٩٦٠/٥٩ إلى ١٠٧,٨ مليون جنية عام ١٩٩٠/٨٩ ولم تصاحب هذه الزيادة في الإنفاق نقصاً في معدل الجريمة ، بل أكدت سجلات الإحصاء القضائي بوزارة العدل ارتفاع معدل الجريمة من ٢٨٤٠ لكل مائة ألف شخص إلى ٤٠٠١ جريمة لكل مائة ألف شخص عام ١٩٩٠/٨٩ وارتفعت جملة المبالغ المنفقة على التجهيزات على السجون من ٦٨٥ ألف جنيه عام ١٩٧٠/٦٩ بلغت ٩٠٢ ألف جنية عام ١٩٨٩/٨٨ ومتوسط نصيب الفرد في مصر من نفقات الأمن الداخلي مقوماً بالدولار ٣,٧ دولار وهي أكبر من متوسط نصيب الفرد من ذلك الأنفاق في مجموع الدول النامية (٩) وقد أصبحت سجون مصر كاملة العدد حيث اكتظت الزنازين والعنابر بالمساجين ، وأصبح الوضع يهدد بكارثة وبائية بين المساجين ، لعدم توافر الشروط الصحية ، والإحصائيات تقول إن في مصر ٢٧ سجناً محتجز بها ٣١ ألفاً و ٥٣٨ سجيناً ، والتقارير تقول إن السجون الحالية لا تتحمل أكثر من خمسة آلاف سجين ، كما تؤكد التقارير أن غالبية السجون المصرية انتهى عمرها الافتراضي ، وأصبحت آيلة للسقوط ، ولا تصلح لتطبيق النظم الحديثة لإصلاح وتهذيب المساجين ، وقد طالب الخبراء بضرورة وضع حلول بديلة لعقوبة السجن ، فأي زيادة في أعداد المساجين يكلف ميزانية الدولة ما ليس في طاقاتها (١٠) كما أن الحبس يؤدي إلى إفساد المسجونين ، وقد أثبت الواقع أن عقوبة السجن لم تثبت صلاحيتها إطلاقاً بل إنها على العكس لها كثير من المحاذير إذ ضاقت السجون بالمحابيس ، وأصبحت هذه السجون مدارس للأجرام ، تفسد الصالحين من المسجونين ، وتنـــزل بهم إلى مستوى الفاسدين ، فأصبحت السجون أوكاراً لتعليم الإجرام ، حيث يجتمع فيها مرتكبو الجرائم على مختلف

(٩) جريدة الشعب العدد ٥٧٥ الثلاثاء ١٦ جمادي الأولى عام ١٤١١هـ الموافق ٤ ديسمبر ١٩٩٠ .

(١٠) جريدة الوفد الخميس ٢٠ ذي الحجة عام ١٤١٠هـ الموافق ١٢ يوليو عام ١٩٩٠م .

نزعاتهم ، يتعلم بعضهم من بعض ، طرق الإجرام ، ويتداولون فيها دروساً في الحيل والفرار من العقوبات ، وتتواطأ بين المساجين صداقات وتتوثق عهود واتفاقيات للاستمرار في نفس نوعيه الإجرام ، ورواد السجون عادة ما يستهينون بها ، ويألفون التردد عليها ، فهي ليست ذات رهبة تردعهم عن الجرائم ، وفي إحدى الدراسات الحديثة التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ثبت أن عدد الذين عادوا للجريمة بعد خروجهم من السجن يصل إلى ٤٢% من المفرج عنهم ، وتلك العودة تتم في السنوات الأولى التي تلي خروجهم ، وكشفت الدراسة أن من أهم أسباب العودة إلى الجريمة يجئ نتيجة إحساسهم بالغربة الناتجة من تغيبهم فترة طويلة داخل السجن (١١) مما يدفع رفقاء السجون إلى استمرار علاقتهم بعد انقضاء العقوبة مما يؤثر على عودتهم إلى الجريمة مرة أخرى ، وفي السجون ذاتها ترتكب جرائم التهرب للمخدرات وجرائم أخلاقية أخرى ، فقد طالعتنا العديد من الصحف ، عن وجود المخدرات بين المساجين في السجون ، وهناك بعض التجاوزات الأخلاقية بين المسجونين بعضم البعض ، والتي تصل في بعض الأحيان إلى المعاشرة الجنسية بين الذكور من قدامى وحداثى المسجونين ، تجاوزات أخرى تشمل التساهل مع بعض المسجونين ذوي المناصب أو الثراء فيقضون المدة كما لو كانوا في فسحة أو نزهة ، كما ينجم عن الحبس تعطيل أفراد عديدين في المجتمع عن الإنتاج وإهمال عائلاتهم وتركها عرضة للعوز والفاقة والمفاسد الأخلاقية والاجتماعية ، ففي خارج السجن حيث توجد أسر المسجونين وقد حرمت من رعايا عائلها المودع في السجن ، فقد تنحرف أخلاقياً ، فتكون عقوبة السجن بذلك عقوبة جماعية يتضرر فيها جميع أفراد أسر المحبوسين ، أما العقوبات التي شرعها الإسلام للجرائم فهي عقوبات رادعة تزجر النفس عن التفكير في الجرائم كما أنها اقتصادية غير مكلفة وتصون الأسرة وأفرادها من الجرائم الأخلاقية .

---

(١١) جريدة المعارضة العدد (٥٥) الأحد/٨ سبتمبر عام ١٩٩١ .

شيخ الأطباء : الرازي وكتابه برء الساعة

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية)

يختار الإنسان ، إذا أراد أن يكتب عن عظماء الرجال ، الذين كان لهم مكانة علمية ، وتأثير بارز منذ حياتهم ، وحتى الآن ، وشيخ الأطباء : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، من أبرز مشاهير علماء الإسلام ، برع في فنون كثيرة ، بما وهبه الله من ذكاء وفطنة ، وخاصة في الطب ، حيث استفادت منه أوربا في نهضتها الحديثة ، إذ قال لي من زار جامع السربون في فرنسا ، بأن بها مجسمين : للرازي وابن سيناء ، في كلية الطب والفلسفة ، وأن الطب والفلسفة ، كما قرأت عن هذه الجامعة ، أن هذين كانا يدرسان بها وهي أعرف جامعات أوربا لمدة مائتي عام "٢٠٠" باللغة العربية .

وهذا نموذج لأثر علماء الإسلام في بلاد الغرب ، ودعوة إلى أن يحتذي شباب المسلمين مسار أجدادهم ، حتى ينهضوا بأمتهم ، ويعيدوا مكانة أجدادهم ، إذ الأمة برجلها وأثرها العلمي والعملي .

ومن أمثالهم : "إن الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس ، وكان متفرقاً فجمعه الرازي ، وكان ناقصاً فكمله ابن سينا ، فمن هو هذا الطبيب ، وما النماذج من سيرته الطبيه ، وما بدايته مع الطب ، ومن من الملوك والأمراء ، الذين كان يهدى لهم بعض كتبهم ويعالجهم .

إن مكانة هذا الرجل وبراعته الطبية ، التي أذهلت كل من كتب عنه ، أو قرأ عنه ، جاءت متأخرة ، فقد كان أول أمره ، من أهل الري حيث ولد ، يضرب بالعود ، ويغني للناس ، لكن بعد ما طلع شعر وجهه ، أزرى من هذه المهنة ، وترك الطرب وضرب بالعود حتى انكسر ، قائلاً في ازدراء : لا خير في طرب وسماع ، يخرج بين شارب ولحية موضحاً أن هذه المهنة لا فائدة منها ، وتزرى بالرجال ، وترك هذه المهنة مع عمله الذي يتكسب منه ، وهو كونه صائغاً .

فاشتغل أول أمره ، في بغداد بعد ما انتقل إليها ، بالعلوم العقلية والأدبية ، لكنه ما كان مهيئاً لذلك ، وإنما العلم الذي برع فيه علم : الأكسير "الكيماء" ، ثم تعلق بالطب وعمره قد تجاوز الثلاثين ، فكسب به شهرة عظيمة وقد جاءت سيرته ، ومكانته العلمية ومؤلفاته ، في أكثر من ثلاثين مرجعاً من كتب التراث ، غير الدراسات الحدثية ، "ينظر كحالة في معجم المؤلفين ، والزركلي في الأعلام" وغيرهما .

فالرازي : أبو بكر بن زكريا ، طبيب المسلمين غير مدافع ، ويعتبر أشهر من نبغ من الأطباء إلى عصره ، على الإطلاق ، علاوة على كونه أحد المشهورين في علم المنطق والهندسة ، جاء من صفاته : أنه كبير الرأس ، مسفطه جليل الطلعة ، يتهيب الناس مجلسه ، مع صغر نفسه وتواضعه ، كريماً رؤوفا بالمرضى ، دقيق الملاحظة ، صحيح النظر ، وكانت أماكن علاج المرضى "المستشفيات" ، تعرف ذلك الوقت باسم "مارستان" .

وعند ما أقدم أحد الولاة في بغداد على إيجاد "مارشيان" لعلاج المرضى ، استشار كثيراً ممن يتعاطى الطب في بغداد ، عن المكان المناسب ، فاختلف رأيهم فأسند الأمر إليه ، واختار عدة أماكن ، وأجرى تجربة فريدة ، إذ وضع في كل مكان ، قطعا من اللحم ليبين له أثر الجو في صلاح أو فساد المستشفى ، لأنه يخشى على صحة المرضى ، فقرَّ رأيه ، بعد التجارب ، على مكان معين في ناحية من نواحي بغداد : الرصافة ، نائية عن السكن حيث طال فساد اللحم فيه ، فاتخذه "مارستان" لأنه قد صار عنده مناسباً وصحيّاً .

كما كان له سمعة جيدة ، عند المنصفين في ديار الغرب ، أما الأنانيون منهم ، وغير المنصفين ، فقد تجاهلوه ، بل سرق بعضهم ، بعض نظرياته واختراعاته ، ونسبها لنفسه ، شأنه شأن علماء المسلمين ، الآخرين الذين اعتدى على اختراعاتهم ، ونظرياتهم العلمية ، مثل ابن أبي : علي بن أبي الطبري ، المتوفى عام ٢٤٧هـ ، الطبيب الحكيم ، وكان أكثر تخصصه طب الأطفال ، في كتابه الذي سماه سياسة الصبيان ، وخرج من طبرستان إلى بغداد ، وأخذ عنه الرازي علم الطب : فقد نسب بعض علماء الطرب علمه ونظرياته لأنفسهم .

ومثل ابن النفيس : علي بن أبي الحزم القرشي ، المتوفى عام ٦٨٧هـ ،

فاكتشف نظرية الدورة الدموية ، التي ادعاها بعض أطباء الغرب لنفسه ، وهو الذي قيل عنه ، بأنه أعلم أهل عصره بالطب ، فزيادة عن مؤلفاته ، فقد شرح الهداية لابن سينا ، والمهذب في الكحل كما شرح فصول أبقراط في الطب .

هؤلاء وأمثالهم ، كثيرون في المجال الطبي من المسلمين قد أضاءوا لعلماء الغرب ، في نهضتهم العلمية ، طريقاً مهدوه بجهودهم ، وأضاءوا المعالم ، بصبرهم وإخلاصهم .

والهمة مطلوبة ، من أبناء المسلمين ، في عصرنا الحاضر لكي يترسموا خطى أسلافهم ، بالجد والمثابرة ، في الميادين العلمية المتنوعة ، طباً وفلكاً ، وجيولوجياً وهندسةً ، وغيرها من سائر العلوم ، في السباق ومواصلة الأبحاث ، وشق الطريق ، لمن يحذوا حذوهم ، خاصة وإن القيادات في هذا البلد ، تحمد حريصة وتبذل وتشجع .

حتى ينطبق عليهم قول الشاعر :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونعمل مثلما عملوا

فالرازي يعده المترجمون لحياته ، إماماً للأطباء ، وشيخاً لهم ، إذ هو من أكثر الأطباء اهتماماً بمهنته ، ومتفاعلاً مع مجتمعه ، بصدق وإخلاص ، في خدمة الإنسانية : جهداً بدنياً ومتابعةً ، وتفاعلاً مع المهنة ، التي أحبها ، وبرز فيها ، ونتائج عظيمة ، بدأت في عهده ، وامتدت بعد وفاته إلى هذا الوقت ، بمؤلفاته ونظرياته الكثيرة ، التي أحصاها الكاتبون ، بأنها تزيد عن المئتين ، (٢٠٠) ، والتي تناولت النواحي العديدة من جسم الإنسان ، الذي تفاعل معه ، استقصاءً وتجربة ، حتى برز وأثر في تلاميذه ، الذين تقاطروا عليه ، فكانوا في حلقات متعددة بعضها وراء بعض ، ومع هذا فإنه يسائلهم ويتفحص مستوياتهم العلمية ، ويحرض على تنمية المعلومات .

ويصح أن نقول عنه ، بأنه قد سبق زمانه في الميدان الطبي .

وفي الحلقة القادمة ، سوف نتعرض لواحد من كتبه ، صغير الحجم كبير الفائدة : باسم برء الساعة عن ما يبرأ في ساعة .

ابن المنتشر والحجاج :

جاء عند المبرد في كتابه الكامل : رواية عن محمد بن المنتشر قال : دفع إلى الحجاج "آزاد مرد" وأمرني أن أستخرج منه ، وأغلظ عليه ، فلما

انطلقت به ، قال لي : يا محمد ارفق بي ، لأن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أعطى على القسر شيئاً ، قال ففعلت ، فأدى إلي في أسبوع خمسمائة ألف ... فبلغ الحجاج ذلك ، فأغضبه ، وانتزعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب ، فدق رجليه ويديه ، ولم يعطهم شيئاً .

فقال محمد : فإني لأمر يوماً في السوق ، إذا صائح بي : يا محمد ، فالتفت فإذا به معرضاً على حمار ، من فوق اليدين والرجلين ، فخفت الحجاج إن أتيته ، وتذممت منه ، فملت إليه ، فقال لي : إنك وليت مني ، ما ولى هؤلاء ، فأحسنت وإنهم صنعوا بي ما ترى ، ولم أعطهم شيئاً ، وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها ، فهي لك .

قال : فقلت له : ما كنت لآخذ منك شيئاً على معروفي ، ولا أجراً ، ولا لأرزأك على هذه الحال .

قال : فأما إذا أبيت ، فاسمع أحدثك ، حدثني بعض أهل دينك ، عن نبيك ﷺ أنه قال : إذا رضي الله عن قوم ، أمطرهم المطر في وقته ، وجعل المال في سمحائهم ، واستعمل عليهم خيارهم ، وإذا سخط عليهم ، استعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال عند بخلائهم ، وأمطرهم المطر في غير حينه .

قال : فانصرفت ، فما وضعت ثوبي ، حتى أتاني رسول الحجاج ، فأمرني بالمسير إليه ، فألفيته جالساً ، على فرشه ، والسيف منقض في يده ، فقال لي : ادن فدنوت شيئاً ، ثم قال : ادن فدنوت شيئاً ، ثم صاح الثالثة : ادن لا أبالك ، فقلت : ما بي إلى الدنو من حاجة ، وفي يد الأمير ما أرى فأضحك الله سنه ، وأغمد سيفه عني .

فقال لي اجلس .. ما كان حديثك مع الخبيث ؟ فقلت له : أيها الأمير ! والله ما غششتك منذ استضحتني ، ولا كذبتك منذ استخبرتني ، ولاخنتك منذ ائتمنتني ، ثم حدثته الحديث ، فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي المال عنده أعرض عني بوجهه ، وأومأ إلى بيده ، وقال : لاتسمه ، ثم قال : إن للخبيث نفساً ، وقد سمع الأحاديث .

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١ : ١٧٨)

(للحديث صلة)

شيخ الإسلام الإمام ولي الله الدهلوي

وكتابه إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

بقلم : الأستاذ محمد سكحال
باحث برابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة

إن الحديث عن الإمام ولي الله الدهلوي ، وجهوده في النهضة العلمية الإسلامية في الهند ، يستدعي العطف بمقدمة تجلي الحالة العامة التي سادت الثقافة الإسلامية ، ومنهليها الصافيين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، في تلك الأقطار خلال عدة قرون خلت قبل بزوغ نجم هذا الإمام المصلح المجدد ، وما كان في أوائلها من طموم الجهل وسبات الغفلة ، ثم تلتها إرهاصات فجر جديد ، فجر صحوة إسلامية ونهضة علمية ، ارتكزت بصورة خاصة على إحياء الحديث والعناية بعلوم السنة .

وخلاصة هذا المسح التاريخي السريع ، أن علم الحديث كان منتشراً في تلك النواحي إبان الدولة العربية التي بدأت نشأتها من يوم دخل السند فاتحاً لها محمد بن قاسم الثقفي في خلافة الوليد بن عبد الملك ، بسبب هجرة كثير من حملة العلم من العرب إلى السند ثم الهند ، واستيطان تلك الأقاليم ، وتوارث علمهم في أسرهم وتلاميذهم ، إلى أن دالت دولة المغول ، في القرن السابع وما تلاه ، فآل الحال إلى ضعف وتراجع ، يصفه مؤرخ الهند العلامة عبد الحي الحسني رحمه الله ، بقوله : "لما انقرضت دولة العرب من بلاد السند ، وتغلب عليها الملوك الغزنوية ، وتتابع الناس من خراسان وما وراء النهر صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر ، وعديماً كعنقاء المغرب ، وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية ، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول ،

ومضت على ذلك قرون متطاولة ، حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان ، والإضراب عن علوم السنة والقرآن إلا ما يذكر من الفقه على القلة ، وكان قصارى نظرهم في الحديث مشارق الأنوار للصاغاني ، فإن ترفع أحد إلى مصابيح السنة للبغوي ، أو إلى مشكاة المصابيح ، ظن أنه وصل إلى درجة المحدثين ، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث .

وتمادى الزمان على ذلك الحال ، وتفاقم الخطب ناسجاً على ذلك المنوال ، حتى كادت تنبت الصلة بين مسلمي الأقطار الهندية ، وبين هذه المشرعة العذبة الغديقة ، أعني الميراث النبوي الشريف المنيف ، وبين حركة التعليم والتأليف القائمة في البلاد العربية بعامة ، إلى أن تداركها الله عز وجل بعنايته ، فرحل من البلاد العربية إلى الهند في أثناء القرن العاشر ، ثلة من أعلام المحدثين ، ذكر عدداً منهم مبيناً مدافنهم صاحب "الثقافة الإسلامية في الهند" ، واستوطن أكثرهم إقليم كجرات من أجل أن مملكة إسلامية كانت قائمة بها آنذاك ، اشتهر ملوكها بحب علم الحديث والشغف به ، وإجلال أهله .

ثم اتصلت هذه الرحلات العلمية برحلات عكسية ، من الهند إلى الحرمين الشريفين للتلقي عن مشاهير علمائهما المتصدرين آنذاك للتدريس والإقراء ، ومن أشهر أولئك الأعلام الهنديين الذين رحلوا إلى الحرمين لطلب الحديث ، الشيخ حسام الدين المتقي (ت ٩٧٥م) صاحب كتاب : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، والشيخ محمد بن طاهر الفتني الكجراتي المتوفى بها شهيداً (ت ٩٨٦م) صاحب "تذكرة الموضوعات" و "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار" ، ثم تلاهم الشيخ العلامة عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي (ت ١٠٥٢م) فملأ العيبة مما أفاده من الحديث وعلومه في تلك الغيبة التي قضاها بين الحرمين الشريفين ، (مكة وطيبة) ، ثم عاد إلى الهند واستوطن دهلي فبث فيها ذلك العلم بالدرس والإقرار والتأليف ، واستمر هذا الجهد العلمي متوارثاً في أولاده وأحفاده ، إلى أن انتهى إلى مسند الهند باعث النهضة العلمية فيها صاحب الترجمة .

وتتناول المطالب التالية تعريفين تعريفاً بسيرة هذا العالم الهمام ، يتلوه تعريف بكتابه إزالة الخفاء .

التعريف بالعلامة الإمام ولي الله الدهلوي :

ولد الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بشاه ولي الله الدهلوي في مدينة دهلي في العام ١١١٠هـ ونشأ في أسرة علم وفضل ، وكان جدها الأعلى المفتي شمس الدين هاجر إلى الهند في القرن السادس ، واستقر بها ثم تسلسلت ولاية القضاء والإفتاء في أعقابه ، إلى أن انتهت إلى أبي صاحب الترجمة الشيخ عبد الرحيم في القرن الثاني عشر وكان من وجوه مشايخ دهلي وأعيانهم ، ذا حظ وافر من العلوم ، وكان من معاصري السلطان المغولي المشهور أورنك زيب عالمكير ، الذي دعا إلى مشروع تقنين الفقه الإسلامي ، وشارك الشيخ عبد الرحيم في هذا المشروع الذي ظهر فيما بعد في صورة الفتاوى العالمكيرية ، المعروفة أيضاً بالفتاوى الهندية ، وكانت دعوة أورنك زيب إلى هذا المشروع جارية في سياق عودة الحكومة المغولية إلى حظيرة الإسلام التي بدأت في عهد الشيخ أحمد السرهندي (ت ١٠٣٤) بعد ما جرها السلطان أكبر إلى الكفر وقادها في دهاليزه المظلمة زهاء نصف قرن ، فكان أورنك زيب وعمله الإصلاحي من ثمار الدعوة الإصلاحية التي قام بها السرهندي الذي يلقب في الهند بمجدد الألف الثاني .

قرأ المترجم وهو بين الصبا واليفاعة العلوم المقررة في الهند في ذلك العهد ، كالتوحيد والنحو والفقه والأصول والتفسير والمنطق والطب والحديث والحكمة والهيئة والحساب وآداب السلوك وعلم الحقائق ، بالفارسية والعربية ، قرأ هذه الفنون كلها على والده ، فكان هو شيخه الوحيد الذي تخرج على يديه ، فلنعم الأب أبوه ولنعم الابن ذلك الابن .

ولما بلغ أشده وجاوز العقد الثالث من عمره ، حج بيت الله الحرام في أواخر عام ١١٤٣هـ ، واغتنمها هزة ثمينة فثوى في الحرمين الشريفين حولين كاملين ، للقي علمائهما وحمل الحديث عنهم بالقراءة والسماع والإجازة ، فقرأ الصحيحين والسنن (ما عد النسائي) والمؤطأ ومسند أحمد ، والأدب المفرد

للبخاري ، والشفا للقاضي عياض ، ورسالة الشافعي في الأصول ، وكانت الإجازات التي حصل عليها شاه ولي الله الدهلوي من شيوخ الحرمين ، في كتب الحديث وغيرها من الكتب ، حلقة تتصل بواسطتها سلسلة الإسناد في الهند من بعده ، إلى أصحابها المصنفين .

وبسبب هذه الرحلة التعبدية العملية المباركة ، حصل صاحب حجة الله البالغة على نسخة قيمة نادرة من الجامع الصحيح للإمام البخاري ، صحح عليها نسخته ، لشيخ شيوخه عبد الله بن سالم البصري المكي (ت ١١٣٤هـ) الذي قضى ما يزيد على عشرين سنة – على ما ذكر الدهلوي عنه – في تحقيقها وتدقيقها ، ومقابلتها بنسخة العلامة المتقن شرف الدين أبي الحسن البونيني (ت ٧٠١هـ) وغيرها من النسخ المعتمدة لصحيح البخاري .

وهذا من منافع الحج العائدة على أهل العلم وطلابه ، ومن فضائل أم القرى زادها تشريفاً وتكريماً ، إذ كانت في الماضي ولم تزل في الحاضر ، ملتقى للعلماء الوافدين إليها من مختلف أقطار الأرض ونواحيها ، ومثابة لهم تصل بينهم بواصلة المذاكرة للعلم وحمله بالعرض والسماع والإجازة ، وحضوره ودروسه ، والحصول على كتبه ، وقد انتشرت كثير من الكتب بين المشرق والمغرب ، بهذا السبب ، وكذلك كانت المدينة النبوية ، دار الإيمان ومأرزه في آخر الزمان ومهاجر رسول الله ﷺ والسابقين الأولين للإسلام تشترك مع مكة في هذه الخصيصة المنيفة .

عاد صاحب إزالة الخفاء إلى الهند من الرحلة الحجازية التي جددت فكره وغيرت مجرى حياته ، وقد ملأ العيبة مما جمع وأوعى من علم مكة وطيبة ، ونبل وبرع في علم الحديث والأثر ، مع حفظ المتون وضبط الأسانيد ، والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد ، ولم يتفق لأحد قبله من أهل قطره ، ممن كان يشتغل بهذا العلم الشريف ، وما اتفق له من رواية الأثر وإشاعته في الأكناف البعيدة ، وسمت همته وتوسع نظره ، فأقبل على درس التفسير وعلومه ، والفقه في مذاهبه الأربعة المشهورة ، ودرس أصول هذه العلوم ومبادئها وهذبها تهذيباً بليغاً ، وأكثر من التصرف فيها ، حتى يكاد يكون باني أسها وباري قوسها .

وزاده الله في الإكرام والإنعام إذ وهبه عقلاً نقاداً وذكاء وقاداً ، مع جودة الذاكرة ونفاذ البصيرة ، قال عنه ابنه ووارث علمه الشاه عبد العزيز : "وما رأيت أحداً أقوى ذاكرة من والدي" ، وأثمرت تلك المواهب الربانية لديه ودراية عميقة ومعرفة واسعة بالكتاب والسنة ، وأصول الدين وفروعه ، وبصراً بأسرار الشريعة وحكمها ومقاصدها ، واطلاعاً جيداً على السيرة والتاريخ ، وتجلت هذه المعرفة في تصانيفه وتواليفه ، فقد جاءت صالحة نافعة غزيرة المعلومات ، كثيرة الفوائد نفيسة النكت والشوارد ، ولا سيما كتاباه الفذان الفريدان البديعان : حجة الله البالغة ، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء .

جهود الإمام الدهلوي في خدمة العلم وتجديد الدين :

ولما آنس العلامة الدهلوي من نفسه بلوغ النهاية في تحصيل العلوم : وآن أوان الإنفاق والعطاء ، أقبل على نشر ما تعلم وبثه في الأنام تدريساً وتأليفاً ، إلى أن لقي الله تعالى في العام ١١٧٦هـ ، وكان ذلك منطلقاً لنهضة إسلامية بعثها في دهلي الإسلامية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر .

أجل ! لقد قام باعث النهضة الإسلامية في ربوع الهند ، بعمل تجديدي كبير لا يعرف قدره إلا من عرف الحال التي آلت إليه أوضاع المسلمين في شبه القارة في ذلك الوقت ، من الضعف في شتى مناحي الحياة : السياسية منها والاجتماعية والدينية والفكرية .

ودرس الدهلوي التاريخ الإسلامي دراسة الناقد البصر ، فنظر فيه نظرة فاحصة تجلت له فيها العوامل المؤثرة في ضعف المسلمين من أبرزها استيلاء الجمود على العقول وخمود روح الاجتهاد فيها ، وقد كرر التنبية على هذا العامل في العديد من كتبه ، مثل : إزالة الخفاء ، وحجة الله البالغة ، والبدور البازغة ، والتفهيمات الإلهية .

وتناول الأوضاع القائمة في عصره بالنقد ، منكراً على كل طائفة علمية أو تربوية أو مهنية ، جملة من الأخطاء والآفات في سلوكها ومسالكها مع غيرها ، فأنكر على العلماء ولوعهم بالعلوم العقلية وشغفهم بالمناظرات الاستدلالية ، وعلى الفقهاء جمودهم على المنقولات ، وتعصبهم لمذاهب

أئمتهم ، وإهمالهم للنظر في الحجج ووزن الأقوال بالميزان ، وأنكر على المتصوفة شطحاتهم وخرافاتهم وإيغالهم في الرموز والإشارات ، وعلى طلاب العلم انهماكهم في الفلسفة اليونانية والعلوم الآلية وتشقيقات الفقهاء ، وقلة اكتراثهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، مع أنهما معدن علوم الدين وموردة المعين ، وأنكر على الوعاظ أخذهم الناس بالتضييق والتشديد في أمور وسع الله عليهم فيها ، وعلى الأمراء والسلاطين انغماسهم في الشهوات المحرمة ، وعلى العساكر ظلمهم للناس ، وعلى عامة الناس وأهل الحرف منهم خاصة ابتعادهم عن دين الله وعن الأخلاق الحميدة ، وانتشار الخرافات والأعمال الشركية فيهم ، والتبذير الذي راج فيهم .

ولما كان ميزان العلم قد اختل في الهند في زمانه بطغيان حكمة اليونان وجدل المتكلمين ، على اهتمام الطلاب والعلماء ، وكذا علوم الآلة ورموز المتصوفة وإشاراتهم ، فقد عالج الإمام ولي الله هذا الاختلال بصرف جل اهتمامه إلى نشر الحديث وإحياء علومه بعد دروسها ردحاً من الدهر ، فأشرقت شبه القارة الهندية بنور هذا العلم الشريف ، وصارت دار حديث ، فعاد فيها غضاً طرياً بعد ما كان نسياً منسياً ، ونفقت سوق رواية السنة وتدريس أمهاتها من الصحاح والسنن وغيرها ، ونفع الله بهذا الإمام وأسرته العلمية الكريمة وبعلومها كثيراً من عباده المؤمنين ، ونفى بسعيهم المبرور وجهدهم المشكور ، من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ، ما ليس بخاف على ذي اطلاع على أحوال تلك الديار ، وتغيرت الموازين في تقويم الناس ، إذ صار العلم بالحديث عنوان الكمال وعلامته ، وشرطاً في نبل العالم ونبوغه ، وشعاراً لأهل الصلاح والعقيدة الصحيحة ، قال العلامة صديق حسن خان : فهؤلاء الكرام قد رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم ، وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم ، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية ، وبغية وأصحاب الدراية ، شهدت بذلك كتبهم وفتاواهم ، ونطقت به زبرهم ووصاياهم ، ومن كان يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك ، فعلى الهند

وأهلها شكرهم ما دامت الهند وأهلها .

ولم يكن عمل هذا الإمام الألمعي اللوذعي قاصراً على النهضة الحديثية ، بل امتد إلى سائر علوم الشريعة وفنونها ، كالتفسير وأصوله والفقه وأصوله ، وأسرار الشريعة وحكمها ومقاصدها ، وعلم التربية والسلوك ، فقد خرجت كتبه في هذه الفنون عن معهود أهل زمانه وبيئتهم الثقافية المتسمة بالإخلاد ، إلى التقليد والجمود على المنقولات ، لا إعمال لفكر ولا نظر ولا طموح لاجتهاد ولا إبداع ، فخرجت تأليف الشيخ عن هذا الطوق ، وبرز فيها من الإبداع والابتكار ما تتحير فيه الأفكار ، لا يرى على شيء من لغتها ولا أسلوبها ولا أفكارها ، ولا على ما اشتملت عليه من مواد التحقيق ونتائج الاستنباط ، ولا يرى على شيء من ذلك أثر لأوضاع ذلك العهد ، "حتى يكاد المرء لا يخيل إليه وهو يسرح طرفه في صفحاتها وأوراقها ، أن هذه الكتب والمؤلفات نسجت بردتها في وسط كان غمره طغيان اللهو والمجون واتباع الأهواء والقتل والنهب ، والظلم والعدوان والفوضى" .

وكان من ثمرات النهضة العلمية المباركة التي انطلقت من بيت الإمام الدهلوي أن نشأت في أقاليم الهند مراكز للعلم تتمثل في مجالس للإقراء وحلق للتدريس في البيوت والمساجد ، كما أسست لهذا الغرض الجليل المدارس والمعاهد ودور العلوم ، والجامعات التي تعنى بالعلوم الإسلامية بعامة وعلوم الحديث بخاصة ، ونشط العلماء للأسفار والرحلات العلمية ، ولا سيما إلى البلاد العربية ، وشغفوا بالبحث عن الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وأصبح لبعضهم مكتبات حافلة زاخرة بنفائس المخطوطات باللغتين العربية والفارسية .

كما أنشئت عدة مطابع ظهرت بوادرها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، عند ما أنشئت مطابع في مدينة "كلكتا" لطباعة الكتب على الحروف ، ثم أنشئت مطابع عديدة في مدن أخرى تطبع الكتب على الحجر ، مثل المطبع الشاهجاني والمطبع الصديقي في بوفال ، والمطبع الأنصاري والمطبع الفاروقي في دلهي ، وأظهرت الطباعة في الهند عدداً من العلماء الأفذاذ الذين كانوا يقومون على تصحيح الكتب ومراجعتها ، ويعلقون على هوامشها

حواشي نفيسة تزيد في قيمة الكتاب وتجلي غوامضه وتحل مشكلاته ، ومن هؤلاء المحققين شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داود ، والتعليق المغني على الدارقطني ، وعبد الصمد شرف الدين ناشر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي ، وحبيب الرحمن الأعظمي ناشر مصنف عبد الرزاق ومسند الحميدي وكشف الأستار في زوائد البزاز .

وأنشئت في حيدر آباد مطبعة كبيرة تشرف عليها دائرة المعارف النظامية ثم العثمانية ، لانتقاء عيون التراث وأهم المصادر في مختلف الفنون ، وحصر مخطوطاتها وجمع مصوراتها ، ثم القيام بتحقيقها ونشرها بواسطة لجنة علمية ، فكانت بذلك مركزاً علمياً إسلامياً رائداً في شبه القارة الهندية .

وخلاصة ما يقال في الإمام ولي الله الدهلوي وجهوده ، أنه أحد زعماء التاريخ الإنساني وأفذاذه الذين يعالجون مرتبك الأفكار ومتشابك الآراء ، فيجلون غامضها ويحلون معقدها ، ويضعون للفكر والنظر الإنساني نهجاً واضحاً مستقيماً .

أجل ! كان الدهلوي علامة عصره وإماماً باعثاً لنهضة علمية رائدة في الهند الإسلامية ، مناضلاً عن الشريعة الغراء ذائداً عن حياضها المعينة ، حتى لقي الله تعالى في المحرم الحرام من العام ١١٧٦هـ ، وإذا وضع المرء بجانب أحوال زمانه وبيئته ، ووضع بجانب آخر ما جاء به هذا الإمام من العمل الضخم ، فإنه ليدهش من نبوغ رجل في مثل بصيرته وأفكاره وعقليته في ذاك الزمان المتقهقر .

أكرم الله بجزيل المثوبة مثواه ، وطيب بوابل من شآبيب رحمته ثراه .

واستمر لواء العلم والإصلاح محمولاً في بيت الدهلوي من بعده ، ومن أبرز من ورث علمه ودعوته ابنه النجيب الأبر الشيخ عبد العزيز وسبطه الشيخ محمد إسحاق الذي ذاع صيته وحفلت مجالسه بالدروس والإفادة ، وشدت إليه الرحال ، ومنه تبتدئ وعليه تلتقي جميع المدارس الإسلامية الهندية في فهم الحديث وشرحه وتأويله ، وهي على اختلاف مشاربها وتباين مذاهبها

ترد نسبها العلمي إليه ولا سيما في رواية كتب الحديث ، فهو مسند الهند وواسطة العقد ، ومنتهي أهل الرواية في العصر الأخير .

تعريف موجز بالأعمال العلمية للدهلوي :

صنف العلامة شاه ولي الله الدهلوي كتباً جليلة ممتعة يجل تعدادها : منها :

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير كتبه بالفارسية ، ثم ترجم إلى اللغات الأخرى .

(٢) فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير ، كتبه بالعربية ، وهو تكملة للفوز الكبير .

(٣) شرح تراجم أبواب البخاري وهو على صغره كتاب نفيس كتبه بالعربية .

(٤) المسوى في شرح المؤطأ ، وهو شرح وجيز لمؤطأ الإمام مالك ، باللغة العربية ، وله كتاب آخر سماه : المصفى في شرح المؤطأ ، ترجم فيه المؤطأ إلى الفارسية مع تعليقات وجيزة.

(٥) حجة الله البالغة ، وهو في نظر المحققين من أهم ما أنتجته قريحة الدهلوي ، وجادت به على المكتبة الإسلامية ، كتبه باللغة العربية ، وتناول فيه الكلام على أسرار الشريعة وحكمها ، بما يمكن أن يقال : إن الشيخ عرض فيه تصوره الكامل للنظام الحضاري المتكامل للإسلام .

(٦) البدور البازغة وهو أيضاً من أهم كتب العلامة ولي الله الدهلوي ، وموضوعه قريب من موضوع سابقه .

(٧) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، وهو الكتاب الذي نحرر هذه الترجمة بين يدي الكلام عليه .

(٨) التفهيمات الإلهية ، كتاب باللغتين العربية والفارسية ، جمع فيه الشيخ آراءه في قضايا وموضوعات متنوعة في فقه التدين ، على نمط كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي .

(٩) الإنصاف في أسباب الاختلاف ، وهو على وجازته ، من أفضل الكتب المؤلفة في باب مثارات الاختلاف بين الفقهاء .

(١٠) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد ، بحث فيه حكم الاجتهاد وشروط المجتهد ، وأنواعه ، وصفاته ، وتكلم على تقليد المذاهب الأربعة ،

وتقليد العالم للعالم ، وغير ذلك من الموضوعات المتصلة بأصول الفتوى وآدابها .

(١١) تأويل الأحاديث في رموز قصص الأنبياء كتيب صغير كتبه باللغة العربية ، فيه بعض الأشياء المنتقدة عليه في تأويل بعض المعجزات وبعض أخبار الأنبياء .

التعريف بكتاب إزالة الخفاء وأهمية موضوعه :

إذا صح المثل الشعبي السائر : المكتوب يعرف من عنوانه ، فإن عنوان الكتاب يدل دلالة مجملة أولية على موضوعه والمقصود من تأليفه ، وهو ذب الأكاذيب والأوهام عن خلافة الخلفاء الراشدين المهديين ، الذين خلفوا النبي ﷺ من بعده على أمته وإقامة دين الله فيها ، واجتهدوا رضوان الله عليهم ، بغاية وسعهم ومنتهى طاقتهم ، أن يسيروا في الأمرين جميعاً على هديه عليه الصلاة والسلام ومنهاجه القويم .

وكانت الدولة المغولية في الهند قد تعرضت لتسلسل الصفويين ، لأسباب سياسية ، قبل حوالي قرنين من ميلاد المؤلف ، ثم استشرى نفوذهم السياسي والاجتماعي في عهده ، وأظهروا فتنة بالتشكيك في شرعية الخلافة الراشدة ، والطعن في الخلفاء الثلاثة ، كما ذكر المؤلف في المقدمة ، فجاء هذا الكتاب رداً على تلك الفتنة ومعالجة لما نشأ عنها من الجدل وبلبلة الأفكار واختلاط المفاهيم .

سلك المؤلف إلى بلوغ هذا المقصد المنيف ، مسلك التقصي والتفصيل لحجة ودلائله ، التي انتزعها من كتاب الله العزيز — وفيه الحجة البالغة وقذائف الحق الدامغة — ومن السنة النبوية — وما أسناها — ومن وقائع السيرة النبوية وسير الصحابة عليهم من الله الرضوان ، مما دل بطريق التصريح أو التلميح ، على الفضائل التي ثبتت وتقررت للصحابة من المهاجرين والأنصار ، واختص الخلفاء الراشدون فوق ذلك بخصائص فضّلوا بها غيرهم من ذلك الجيل الفريد ، ومزايا سمت بهم ليكونوا أحق بالخلافة وأهلها ، كما أن تربيتهم الزمني في الاستخلاف وقع على وفق الترتيب بينهم في الأفضلية وقوة التحقيق بتلك المزايا : فأبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي .

وتناول الدهلوي في كتابه هذا موضوع الخلافة ، تناولا بديعا إذ قسمها قسمين :

عامة وخاصة :

فأما الخلافة العامة التي جعل دراسة مباحثها كالمدخل والتمهيد إلى موضوع الكتاب فعنى بها الإمامة العظمى التي أوجب الشرع الحنيف القيام بها في المسلمين في كل عصر من الأعصار ، لحفظ جماعتهم وإقامة دينهم وسياسة دنياهم بالشريعة التي شرعها ربهم لهم في كتابه شرعاً مجملاً ، وقال : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الجاثية الآية/١٨) ، وبينها للناس على لسان رسوله الأكرم ﷺ ، بأقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأحواله .

وأما الخلافة الخاصة التي هي أم مقصود هذا الكتاب ، فعني المؤلف بها التطبيق العملي لتلك الخلافة العامة أو الإمامة العظمى في فترة معلومة مشهورة من التاريخ الإسلامي وهي الفترة التي تلت زمن النبي ﷺ حتى ثلاثة عقود من السنين ، وهي الفترة المصطلح عليها بعصر الخلفاء الراشدين .

استعرض المؤلف الخلافة بمفهومها الأول العام ، فبين وجوبها وشروطها وطرق انعقادها ، والواجبات التي تلزم من انعقدت له تجاه المسلمين ، والواجبات التي تلزم المسلمين تجاهه ، وهذا الموضوع لم يأت فيه الدهلوي بشيء جديد ، بل كان فيه تابعاً لمن تقدمه من العلماء الذين أفردوه بكتب حرروا فيها فصوله ومباحثه ومطالبه ، كأبي الحسن الماوردي وأبي يعلى الفراء القاضي ، وأبي المعالي الجويني وغيرهم .

ثم أردف المؤلف بالكلام على الخلافة بمفهومها الخاص ، فذكر جملة من المناقب والصفات سماها اللوازم ، تؤهل من استوفاها من الصحابة لهذا المنصب الجليل ، فذكر من تلك الصفات كونه من المهاجرين الأولين ، الشاهدين الحديبية ، المبشرين بالجنة ، مبيناً في أعقاب ذلك إلى تحقق تلك الخصائص الحميدة الفريدة في عدد كبير من الصحابة ، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون ، مع تفاوتهم في درجة التحقق بها ، بحسب تفاوتهم في الرتبة الزمنية

في تولي الخلافة .

بعد ذلك استعرض إحدى عشرة آية من كتاب الله ، أتى عليها بالبيان والتفصيل منتزعاً من كل منها ما يشهد بطريق الإشارة أو الاقتصاد للخلفاء الراشدين بكونهم كانوا على الهدي المستقيم في زمن النبي ﷺ وبعد استخلافهم على أمته ، أما في زمنه عليه الصلاة والسلام ، فبدخولهم دخولاً أولياً في جملة من أثنى الله عليهم وبشرهم بجنته ورضوانه ، إذ بذلوا الأموال والمهج في نصرة رسول الله ﷺ والاستجابة لأمره في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وأما بعد استخلافهم فبما يقتضيه الوعد للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم ، وبتبديل خوفهم أمناً ، من أن ذلك لا يكون إلا في ظل إمامة صحيحة وسياسة رشيدة ، تجمع أمرهم وتقيم لهم دينهم الذي ارتضى الله لهم .

بعد ذلك استعرض المؤلف جملة وافرة من الأحاديث والآثار ، رتبها على طريقة المسانيد ، وقصد بذكرها إبراز مناقب الخلفاء الراشدين وفضائلهم المستلزمة لصحة خلافتهم ، وكونها كانت خيراً ونعمة على الأمة .

بعد ذلك تطرق لذكر الفتن التي أخبرت السنة بوقوعها في الأمة ، مبيناً الآثار السلبية التي أحدثتها تلك الفتن في الاعتقاد والأخلاق وفي وحدة المسلمين السياسية ، وأردف بذكر ما أرشد النبي ﷺ إليه من الأقوال والأفعال والمواقف التي ينصح أن يتمسك بها المسلم عند وقوع الفتنة .

هذا مجمل ما اشتمل عليه الجزء الأول من الكتاب .

وفي الجزء الثاني استقرى المؤلف ما في كتاب الله من الآيات التي لها صلة بفضل أحد الخلفاء الأربعة ، بكونها نزلت فيه تثني على بعض أعماله أو خلاله ، أو موافقة لرأيه ، أو لكونه كان أعلم الناس بتأويلها أو بموقع تنـــزيلها ، أو تفرد بحسن الاستنباط منها ، مما يدل على وفور العقل وعمق الفهم عندهم رضوان الله عليهم وعلى سائر الصحابة .

ثم تطرق إلى ذكر الدلائل العقلية الدالة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة ، أتبعها بذكر الدلائل النقلية والعقلية ، على تفضيل الشيخين أبي بكر

وعمر على غيرهما من الخلفاء الراشدين بله سائر الأمة ، وللمؤلف رحمه الله كتاب مفرد بعنوان : "قرة العينين في تفضيل الشيخين" ، كتبه باللغة الفارسية ونقله إلى العربية الدكتور مقتدى حسن الأزهري ، ولم يتحقق لدينا ما إذا كان كتاباً مستقلاً ، أو هو نفس الجزء المشار إليه من إزالة الخفاء ، أفرد بالنشر لأهميته الخاصة في دحض مزاعم الشيعة الإمامية .

وأما الجزء الثالث والرابع ، فخصصهما لاستعراض ما للخلفاء الراشدين الأربعة من مآثر ومناقب ، واحداً واحداً ، مرتبين على مراتبهم في الاستخلاف ، فاستعرض مناقب أبي بكر الصديق على التفصيل ، ومنها صفاته ومواقفه وبلاؤه في زمن النبي ﷺ ، والإنجازات التي تحققت على يديه في أثناء خلافته ، وختم بذكر بعض آرائه الفقهية ، ثم ذكر مناقب عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب ، على هذا النحو .

وقد انطوى الكتاب في مثانيه وجزئياته واستطراداته على علم جم ، وفوائد غزيرة نفيسة تنم عن سعة اطلاع المؤلف على وقائع السيرة النبوية وتاريخ الخلافة الراشدة ، وعلى حسن فهمه للنصوص واستنباطه وإحاطته بمرامي الشريعة ومقاصدها الكلية والجزئية .

وإن لم يكن لكتابه هذا من مزية يثنى عليه وعلى مؤلفه بها ، إلا تنقية سير الخلفاء الراشدين المهديين ، من علائق الشبهات والأكاذيب التي ألقاها فيها بعض المبطلين وإبراز فضلهم على الأمة الإسلامية ، فضلاً مسترسلاً على طبقاتها وأجيالها ما بقيت إلى يوم الدين ، لكان حقيقاً بكل ثناء وتقدير ، وخليقاً بأن يحتفل به فقهاء الأمة ومؤرخوها ، وسائر أولي العلم فيها ، احتفالهم بصنوه الذي يشترك معه في موضوعه ومقاصده ، وإن تباينا في الأسلوب والتفاصيل ، أعني "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام وفخره أبي العباس ابن تيمية الذي دحض فيه أباطيل "منهاج الكرامة" لابن المطهر الحلي الإمامي .

****

دور بديع الزمان سعيد النورسي

في تربية النشء الجديد

بقلم : الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

نظرة على القرن التاسع عشر الميلادي :

القرن التاسع عشر الميلادي الذي يصادف القرن الرابع عشر الهجري من أهم العصور التي ظهرت فيها دعوات في العالم الإسلامي إلى اعتناق الحضارة الغربية وتمجيدها بإزاء الحضارة الإسلامية الإنسانية ، وقد أعد الغرب المادي لتحقيق هذا الغرض رجالاً من المثقفين المسلمين ، ممن كفوا مؤنة تغيير أفكار المسلمين ، نحو الحضارة الطبيعية التي أتى بها الإسلام ، باعتبار أنها هي المنهج الصحيح السليم ، الذي يتولى توفير السعادة والأمن والسلام لحياة الإنسان ، ذلك المنهج يقوم على أساس الجمع المتزن بين الأصالة والمعاصرة (Originality and Modernization) ، وقد اعترف بذلك جماعة من المثقفين ، فضلاً عن دعاة الإسلام المعاصرين .

شخصيات أثرت في تركيا الحديثة :

إن دراسة تاريخ الفلسفة الحضارية في العالم الحديث بوجه خاص ، تؤدينا إلى تركيا في هذه الفترة من التاريخ ، فإذا بشخصيات تركية تتمثل على صفحات التاريخ الحديث ، ممن أثروا في بناء تركيا الحديثة ، وقاموا بدور بارز في مجالات عديدة من الصحافة والسياسة والفلسفة ، وتراجم الرجال والأدب والدين ، والشعر الإسلامي ، وتأليف الكتب وما إلى ذلك .

ضياء كوك ألب :

ومن بين هذه الشخصيات "ضياء كوك ألب" المولود بديار بكر ١٨٧٥م ، الذي دعا إلى اعتناق الحضارة الغربية باعتبارها امتداداً لحضارة العهد القديم ، التي بناها السومريون والفينيقيون في العصر الطوراني قبل العصور القديمة ، ولذلك فإن لضياء كوك ألب مكانة مهمة بين من قدموا الأساس الفكري لبناء دولة تركيا الجديدة .

زعيم متحمس لتركيا نامق كمال :

وفي الطرف الثاني كان "نامق كمال" المولود في عام ١٨٤٠م ، الذي كان زعيماً متحمساً جمع بين العلوم واللغات الفارسية والعربية والفرنسية ، كان معجباً منذ أيام الشباب بالزعيم التركي والمفكر المعروف بإبراهيم شيناشي (١٨٢٦ – ١٨٧١م) وقد شهد بإسلاميته برناد لويس (Bernard Lewis) في كتابه (The emerge of Modern Turkey) : وإن ما يتغنى به في مقالاته بالوطن فلم يكن إلا على أساس الإقليم ، والوطن عنده ليس إلا وطناً إسلامياً خالصاً ، ولذلك فإنه انتصر للإسلام ، وحمل لواء القيم الإسلامية .

مصطفى كمال أسوأ رمز لتركيا :

وهذا مصطفى كمال باشا أتاتورك المولود ببلدة سلانيك عام (١٢٩٨هـ – ١٨٨١م) وكانت شخصيته مكروهة لدى زملائه ، منهم أنور باشا أتاتورك وطلعت باشا ، فكان الخلاف بينهم شديداً ، وخاصة حول مخالفة تركيا ألمانيا أيام الحرب الكونية الأولى الكبرى ، ذاك أن أنور باشا وزملاءه قد فوضوا مسئولية تنظيم الأمور العسكرية إلى الألمان ، بالرغم من مصطفى كمال ، لأنه كان يرى أن تلتزم تركيا بالحياد ، وفور ما انتهت الحرب الكونية الأولى تسلم أتاتورك زمام النظام وصيانته في عام ١٩١٩م وأعلن الحرب على اليونان ، فانتصر فيها وأقام حكومة مستقلة ، وألغى الخلافة العثمانية ، وأقام جمهورية علمانية ، وأصبح رئيساً لها في عام ١٩٢٤م ، واستمر في سدة الحكم عشرة أعوام .

وثار خلالها على شعائر الإسلام وألغى الأذان في المساجد باللغة العربية ، وألغى الحروف العربية واستبدلها باللاتينية ، واعتز بالحضارة الغربية ووضع الحجر على أداء فريضة الحج ، وأغلق المدارس الإسلامية ، ولما توفي في عام ١٩٣٤م ، وتحررت تركيا من سيطرته وبدأت الحياة الطبيعية تعود إلى تركيا ، جرت الانتخابات من جديد ، وفاز فيها الحزب الديموقراطي وانتخب عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ، ووجدت المدارس والمساجد طريقها نحو حياة جديدة ، وكان أول عمل لعدنان مندريس بعد فوزه في الانتخابات عام ١٩٥٠م أنه سمح بالأذان العربي ، فارتفع من منابر المساجد الأذان العربي وارتجت تركيا لأول مرة بالأذان العربي في ١٦/من يونيو عام ١٩٥٠م ، وكان

يوماً تاريخياً في تركيا .

نبذة من حياة بديع الزمان سعيد النورسي :

وبعد هذه النبذة اليسيرة من تاريخ تركيا الحديث يحلو لنا أن نتناول شخصية بديع الزمان النورسي الذي ولد عام ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م في قرية "نورس" على مقربة من بحيرة "وان" شرقي تركيا ، ظهرت عليه مخايل النبوغ والذكاء منذ صغره ، تلقى العلوم الإسلامية على كبار علماء عصره وتبحر فيها ونال شهادة العالمية ، وهو لم يتجاوز أربع عشرة سنة من عمره ، وقد كانت له براعة في العلوم الحديثة من الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا ، ولكنه اشتهر بوسائله الممتازة التي تدل على بصيرته النافذة في العلوم الدينية والروحانية ، وكانْ له سهم وافر فريد من نوعه في الحرب الكونية الأولى ، فدخل معارك عديدة مع تلاميذه وأتباعه من فرق الأنصار التي كان قد نظمها في هذه المناسبة ، فخاض معارك عديدة ضد القوات الروسية المعتدية وأبلى فيها بلاء حسنا ، مما أثار إعجاب القادة العسكريين ، وقد وفق في ساحة الحرب وبين الخنادق فيها أن يؤلف كتابه القيم في تفسير كتاب الله تعالى "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" إنه وفق إلى كتابة هذا التفسير ، وهو في جبهة القتال أيام الحرب الكونية الأولى ، فيقول :

"ففي أثناء أداء فريضة الجهاد (ضد الروس) كلما سنحت لي فرصة في خط الحرب ، قيدت ما لاح لي في الأودية والجبال بعبارات متفاوتة باختلاف الحالات ، فمع احتياجها إلى التصحيح والإصلاح لا يرضى قلبي بتغييرها وتبديلها إذ ظهرت في حالة من خلوص النية لا توجد الآن ، فأعرضها لأنظار أهل الكمال ، لا لأنه تفسير للتنـــزيل ، بل ليصير – لو ظفر بالقبول – نوع مأخذ لبعض وجوه التفسير ، وقد ساقني شوقي إلى ما هو فوق طوقي ، فإن استحسنوه شجعوني على الدوام (١) .

علم بارز غيَّر مجرى تركيا :

ولا ريب أن العلامة بديع الزمان النورسي من شخصيات القرن العشرين العظيمة ، فقد تركزت مجهوداته الإصلاحية في تركيا الحديثة حيث لا

(١) إفادة المرام في بدء الكتاب ص/٤١ .

يوجد لها نظير في مجال البعث الإسلامي هناك ، ومنذ أن بدأ عهد الديموقراطية في تركيا في القرن التاسع عشر بالذات سيطر على زمام الحكم المعجبون بالحضارة الغربية مع الانصراف التام عن الإسلام وحضارته ، وكان من الصعب أن يبقى للإسلام مستقبل لامع في هذا البلد التاريخي العظيم الذي كان يعتبر مركز الإشعاع وحضارته من قرون غابرة عديدة ، ولولا أن العلامة بديع الزمان النورسي ذلك العالم الرباني والداعية الإسلامي الكبير كان لم يبذل مجهودات بالغة في تلميع مستقبل الدين وإنقاذه من العلمانية الغربية التي تزعمها مصطفى كمال باشا بغاية من الجراءة والشجاعة ، وبالتركيز على هذه الجبهة ربع قرن من الزمان واجه خلال ذلك محناً كثيرة من السجن ، والنفي ، والتهديد والتضييق ، ولكنه رغماً من كل ذلك نجح في العودة بتركيا العلمانية إلى تركيا الإسلامية ، ولا شك أن ذلك مأثرة تاريخية لا يوجد لها نظير في تاريخ الهند الإسلامي إلا في دعوة مجدد الألف الثاني وأعماله التجديدية ، في عهد الملك المغولي وبعده .

انطباعات "مريم جميلة" عن الشيخ سعيد النورسي :

وقد سجلت المهتدية الجديدة الأمريكية "مريم جميلة" انطباعاتها عن النورسي وأعماله الجليلة في مجال البعث الإسلامي مع تسلحه بالقوة الروحية الإيمانية التي كان قد أكرم بها ، يقول :

"أرى بدوري أن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي له أهمية تاريخية كبيرة في صف العلماء الربانيين ممن قاموا ببعث إسلامي في القرن العشرين ، وقد توصلت أنا شخصياً بدراسة حياته ومطالعة كتاباته أن مكانته الروحانية أسمى من بين القادة العلماء المعاصرين الذين برزوا في مجال البعث الإسلامي في العالم العربي والقارة الهندية في هذا القرن ، فقد جمع الله تعالى في شخصيته روح ولي من أولياء الله المجددين للدين ، والمجاهدين في سبيل الله تعالى ، فكل ما تركه من تراث علمي وتربوي لا يمكن أن يكون محدوداً بين الأتراك ، بل هو إرث مشترك للمسلمين في العالم كله .

لقد كان أساس القوة التي وجدت فيه ، تلك المشكلات والقضايا التي كان يعيشها المسلمون في عصره ، إنه قام باستعراض جدي في ضوء الحقائق للظروف التي مني بها المسلمون يوم ذاك ، فلم يخطر بباله أن يضع خارطة

للمشاريع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتحلى بالبنود الجميلة في مجال العمل الذي تولاه ، شأن القادة المسلمين الذين كانوا يعملون في مجال التجديد الإسلامي ، وقد يستعصي تنفيذها في العالم البشري ما كان الحكام المسلمون المزعومون ، يسحقون المسلمين المؤمنين بغاية من القسوة والظلم ، وما لم تنته المفاسد الاجتماعية والنظام التعليمي المادي البحت ، وأجهزة الإعلام مما لا يمكن وقاية الجيل الناهض من مضارها وسوء تأثيرها ، إننا نواجه اليوم صوراً مشوهة للإسلام في جميع المجالات سياسية كانت أو تربوية ، اجتماعية كانت أم فردية .

بينما كانت أغلبية الشباب المسلم قد تركت العمل بتعاليم الإسلام وتنفيذها في الحياة ، نرى هؤلاء الشباب أنهم لا يتلكأون في الخضوع أمام الحضارة الغربية ، وإنما يسعون ورءاها بغاية من الشوق ، ومن غير تمحيص ونقد ، فهل يجوز في مثل هذه الأحوال أن نتحدث عن العالم الإسلامي الموحد ، أو عن الوحدة الإسلامية ، وتوحيد جميع الطبقات الإسلامية .

كان النورسي قد أدرك هذه الحقيقة ، وتأكد أن الإسهام في السياسة العملية وبذل الجهود في هذا المجال لغو لا يأتي بنتيجة إيجابية ، ذاك أنه كان يؤمن بأن التغلب على القوة السياسية وحدها لا يؤدي إلى نتجية إيجابية وثمار يانعة في سبيل البعث الإسلامي وتجديده ، إنه كان راسخ الإيمان بأن الثورة السياسية ليست طريقاً نحو ثورة إسلامية ، ذاك أن مثل هذه الثورة الإسلامية ، تتهدم بثورة مناهضة أخرى ، ولا ريب أن هذا الوضع يفضي إلى القهر والجبر والجور والاستبداد ، والصراع الطويل .

لقد كان بديع الزمان سعيد النورسي بالغاً من التعقل بهذه الحقيقة ، والإدراك بعاقبتها الوخيمة إلى آخر المدى ، فتجنب إنشاء حركة لا تتفاعل مع الطبيعة العملية ، إذ من المعلوم أن مثل هذه الحركات تقع فريسة أصحاب الحكم والسلطة ، ويفاجئها الحل (The Unties) واعتقال زعمائها وإعدامهم بسهولة ، كما يسعهم أن يقوموا بإغلاق مكاتبها والحظر على نشاطاتها وإصدارتها ومنشوراتها .

بالعكس من ذلك قام سعيد النورسي بترسيخ جذور الإيمان في قلوب الشباب والجماهير الأتراك من خلال مؤلفاته وإصداراته ومجهوداته الدعوية ، فقد كان ذات أطراف ووسائل منوعة .

لا ريب أن ما يوجد اليوم من الإيمان والروح الإسلامية في تركيا يرجع ذلك إلى ما قام به النورسي من مجهودات بالغة ، وتضحيات غالية بالنفس والمال ، وفي توسعة حدود الإيمان والعمل في نفوس المسلمين الأتراك ، ليس إلا عكساً لهذه المجهودات والتضحيات التي قام بها النورسي في تركيا بغاية من الحكمة والموعظة .

إن حاجة الإنسان المعاصر الملحة تنحصر في إيجاد صحوة خلقية ، وروحانية ، إن شبابنا اليوم بأمس حاجة إلى تغيير فكرهم واتجاههم من المادية إلى روح الإيمان وتعاليم الإسلام ، وعلي هذا الجانب المهم ركز بديع الزمان سعيد النورسي تحقيقاً للغاية التي توخاها من ترسيخ الإيمان في قلوب الشباب المسلم من خلال رسائله التي تعرف برسائل النور ، وبذلك نالت حركة النورسي قبولاً بين المسلمين وإعجاباً في مجتمع الشباب المسلم في تركيا بوجه خاص ، وفي سائر أنحاء العالم ، حيث وصلت هذه الرسائل ، بأيدي شباب باحثين عن ضالتهم" (٢) .

أديب تركيا يتحدث عن النورسي :

أديب تركيا والصحافي الممتاز "أشرف أديب" (٣) ، يتحدث عن الأستاذ النورسي صاحب رسائل النور ، فيقول :

"في قرية صغيرة محاطة بالجبال شرقي أناطولية ، طلعت شمس العلم والمعرفة التي عرفته الدنيا باسم "سعيد النورسي" وكان فذاً بين الأطفال تتجلى فيه ، وعلى وجهه وعيونه مخايل النبوغ والنضج ، حيث كان يراه الناس بنظرة يملؤها العجب والحيرة وكان يتميز بالاعتزاز بالنفس والذاكرة القوية والذكاء الخارق والحب الخالص لله ولرسوله ﷺ والجرأة والشجاعة البالغتين .

رؤيا عجيبة رآها النورسي :

من عجائب قصصه أن الشيخ النورسي كان يعيش خلوة في بلدة "تيلو" فإذا هو يرى في المنام رؤيا عجيبة رأى أن الشيخ عبد القادر الجيلاني

(٢) رسالة مريم جميلة المنشورة في مجلة النور الإنجليزية ، الصادرة من أمريكا ، عدد أكتوبر : ١٩٨٥م .

(٣) أشرف أديب : الصحافي الممتاز والمؤلف الشهير ، كان يصدر صحيفتين أسبوعتين : الصراط المستقيم ، وسبيل الرشاد ، كانتا ترجمانا للفكر النورسي بين المسلمين في تركيا ، توفي أشرف أديب عام ١٩٧١م .

يقول له في المنام ، يا سعيد ! إذهب إلى رئيس قبيلة (Meran) وهو مصطفى باشا وقل له أن يختار الطريق الصحيح ، وأكد له الدعوة إلى إقامة الصلاة والأمر بالمعروف وانهه عن الظلم ، فإن فعل فنعما ذاك وإلا فاقتله .

محادثة جريئة للنورسي مع مصطفى كمال :

أزعجت هذه الرؤيا وأراد أن ينجز ما أمر به الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وأعد للتوجه إلى قبيلة ميران ، وسافر ، فلما وصل هناك دخل في خيمة مصطفى كمال باشا ولم يكن موجوداً في ذلك الوقت ، فلما جاء ودخل الخيمة قام له الناس جميعاً تعظيماً له ، ولكن الأستاذ النورسي لم يقم ، فلما رآه مصطفى ، سأل عنه الناس ، فعرفه أحد ضباط الجيش "باشي فتاح" ، وقال : إنه العالم الشهير "الشيخ سعيد" فلما علم ذلك استولى عليه الغضب ، ولكن تغلب عليه وسأله ما الذي جاء بك هنا" ، فرد عليه الأستاذ النورسي وقال "ما جئت هنا إلا لكي أدعوك إلى الصراط المستقيم ، فإياك والظلم والفحش وعليك بالصلاة وإلا سأقتلك .

فلما سمع باشا جواب النورسي استشاط غضباً ، وخرج من داخل الخيمة ، وبعد هنيهة ارتجع إلى الخيمة ، فردد السؤال نفسه ، فقال له النورسي : أنا أخبرتك بالغرض الذي أتيت إليك من أجله ، فما لبث أن أشار باشا إلى سيف معلق بعمود الخيمة ، وقال : هل تقتلني بهذا السيف ، فقال النورسي بغاية من الجدية : يدي تقتلك ، لا السيف ، وما أن سمع باشا هذا الرد القاسي خرج من الخيمة ، من شدة الغيظ والغضب ، ورجع بعد قليل مخاطباً النورسي :

"انظر يا سعيد ! هناك عدد كبير من العلماء ، فاذهب وناظرهم ، فإذا أعجزتهم في هذه المناظرة سأكون معك ، وأعمل حسب توجيهاتك ، أما إذا كان الأمر بالعكس ، فبسوف أرميك في نهر الفرات" .

ما كان سعيد النورسي متهيباً أي مناظرة ، تعقد بينه وبين العلماء ، والواقع أن باشا جمع العلماء في جلسة ، قام فيها أمام هذا الجمع ، وقال : إنني أراك أيها العلماء مغلوبين أمام سعيد النورسي ، الأمر الذي شجع العلماء وبعث فيهم الطموح حتى وجهوا إلى الشيخ النورسي أربعين سؤالاً ، رد عليها الأستاذ النورسي بغاية من الوضوح ، فلما رأى ذلك وتأكد أن مكانة الشيخ النورسي لعالية في العلم ، وفي وعده وبدأ يصلي الصلوات ، ولكنه لم يرض أن

يعيش النورسي في عاصمة تركيا ، وأوجس منه خيفة ، فعزله إلى مكان بعيد من العاصمة ، وهي الجزيرة" (٤) .

تدوين رسائل النور :

طاب له المكان هناك ، حيث قام بتدوين رسائله التي تسمى برسائل النور ، ولكن مصطفى كمال باشا لم يعجبه هذا النشاط العلمي والديني من خلال هذه الرسائل ، التي كانت جماعة الشباب المسلم في تركيا تتلقفها ، بغاية من الشوق للاستفادة الدينية والعلمية منها ، لأنها كانت تحتوي على حقائق الإسلام والإيمان والتوحيد بأسلوب بديع خلاب ، وكل من قرأها تيقن بحقيقة الحياة والكون والإنسان ، وعلم تلك الأهداف الغالية التي أرادها الله تعالى من خلق الإنسان ، إنه تحدث عن هذه الحقائق الظاهرة الباهرة بما فتح الله عليه من المعاني والمفاهيم الصحيحة السليمة ، وهي تتجلى في رسائل النور تجلياً بيناً .

يحلو لنا في هذه المناسبة أن ننقل إلى قرائنا الكرام مقتطفاً مما دبجه يراع السيدة مريم جميلة التي سبق ذكرها في هذا المقال المتواضع ، إنها تقول :

"ولكن الفئة الحاكمة ساءها هذا النشاط الإسلامي الهادف ، فسرعان ما التفتت إلى الرسائل المنتشرة بين أيدي الشبيبة المؤمنة ، وكلها دعوة إلى التمسك بمبادئ الإسلام ، فهجمت على مقر اجتماعاته (النورسي) ، وقدفت بتلاميذه إلى غياهب السجن ، وأمرت بإبعاد النورسي ثمانية أعوام إلى إقليم ناء في (بارلا) ليحرم من الاتصال بمن رباهم على النضال ، وليظل وحيداً مكرها على أن يطهو طعامه بيده ، وأن يخيط ثيابه دون معاونة من خائط ، ولكن روحانيته العالية كانت فوق النفي والاعتقال ، فجعل ينشئ (رسائل النور) فجعل المخلصون الجدد من إقليم (بارلا) يجتمعون حوله ، ليحملوا الرسائل إلى الناس مخطوطة غير مطبوعة ، حيث يقوم كل قاريء بنسخ صورة يقدمها لغيره ، وعليه أن يكرر عملية النسخ ، وبذلك أصبحت الرسائل المخطوطة تنافس المطبوعات في سيرورتها !

وذعرت السلطة الحاكمة في أنقرة حين علمت سيرورة هذه الرسائل

(٣) الجزيرة هي المنطقة التي كانت فوق نهري دجلة والفرات ، وهي حائلة على ثغور تركيا وسوريا .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي ، الشخصية والحركة ، تأليف ثروت صولة ص/٣٦ – ٣٧ .

المخطوطة وانتشارها على نحو مدهش ، فعمدت إلى تلفيق التهمة السياسية ضد النورسي ومئة وعشرين من أتباعه وقدمته للمحاكمة بمدينة (إسكي شهير) وكانت تهمته هي التحريض ضد النظام القائم والسلطة الحاكمة ووقف المتهم الجريئ ليقول في جهارة عالية : (إن قيام حركة عن طريق الكتاب والتأليف لا يسمى عصياناً يؤدي إلى إسقاط الحكومة ، وإذا كان عود الثقاب لا يحرق دون أن يحك ، فليس من المعقول أن يعتبر مجرماً من يحمل ذلك العود ، وهو لم يحرق العمار ، وأنا لا أنوي الاستيلاء على الحكم ، وكل ما أسعى إليه أن أهدي قومي إلى صراط الحق القويم ، لست أنتمي إلى أي نحلة ، أو أدعو إلى أي عصبية ، ولكني أتحمس لكتاب الله وشريعة الإسلام. ، ورسائل النور مدرسة دون مكان أو منهج أو مال أو مدير ، هي مدرسة روحية كتابها القرآن ، فما ذنب من يقرأ القرآن وتفسيره وهو عضو في مدرسة لا تعرف حدود الزمان ولا حيز المكان ، إن قرار الاتهام ينص على أن رسائل النور قد قرأها سبع مأة ألف شخص في إقليم الأناضول ، وماذا في ذلك ؟ هل أدت قراءة الرسائل إلى إخلال بالواجب أو تهديد للأمن العام ، أو خرق دستور البلاد ، لقد وقفت أمام عدة محاكم ، ولم تتوفر الأدلة على إدانتي ، فاتركوني إذن وشأني ، لست محارباً ، ولكني مسالم" (٥) .

نماذج من كتاباته لتربية النشء الجديد :

هنا نتقدم إلى قرائنا الكرام بنبذ من بعض الرسائل التي عثرنا عليها من خلال قراءتها :

(١) وهذه هي "رسالة الشكر" .

بداها الشيخ النورسي بآية من كتاب الله تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ .

يفيض القرآن الكريم ببيانه المعجز ويحث على الشكر في آيات كثيرة ، منها هذه الآيات التاليات :

﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ ..... أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ ، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ ، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ، ﴿بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ﴾ .

(٥) حقيقة التوحيد بقلم سعيد النورسي ص/١٢ ، مقدمة الكتاب .

ويبين منها : أن أجل عمل يطلبه الخالق الرحيم من عباده هو : الشكر فيدعو الناس إلى الشكر دعوة صريحة واضحة ويوليه أهمية وامتيازاً خاصاً ، بإظهاره أن الاستغناء عن الشكر ، إن هو إلا تكذيب للنعم الآلهية وكفران بها ، ويهدد إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن بالآية الكريمة : ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تهديداً مرعباً ، وينذر الجن والإنس إنذاراً مهولاً ببيانه : أن عدم الشكر والإعراض عنه تكذيب وإنكار وجحود .

ومثلما يبين القرآن الحكيم أن الشكر نتيجة الخلق ، والغاية منه ، فالكون الذي هو بمثابة قرآن كبير مجسم يظهر أيضاً أن أهم نتيجة لخلق الكائنات هي الشكر (ص/٤٩) .

(٢) "رسالة الحمد لله على نعمة الإيمان" :

لخصها في تسع نقاط :

النقطة الأولى : إن الفلسفة المادية "أو التفكير المادي" ليست في الواقع سوى نظارة سوداء يرى الإنسان بها الأشياء جميعاً قبيحة مخيفة ، أما حقيقة الإيمان ، فهي نظارة شفافة نورانية براقة يرى الإنسان بها جميع الأشياء والأمور مؤنسة وجميلة (ص/٥٧) .

النقطة التاسعة الأخيرة :

الحمد – من الله بالله على الله – لله ، بعدد ضرب الكائنات من أول الدنيا إلى آخر الخلقة ، في عشرات دقائق الأزمنة ، من الأزل إلى الأبد .

الحمد لله على نعمة القرآن والإيمان علي وعلى إخواني بعدد ضرب ذرات وجودي في عاشرات دقائق عمري في الدنيا وبقائي في الآخرة (ص/٦٦) .

(٣) وهذه رسالة رمضان تحتوي على تسع نكات ، النكتة الأولى من بيان الحكم التي يتضمنها صيام رمضان ، فيقول :

"إن أكثر الحكم المتمخضة عن صوم رمضان تتوجه إلى إظهار ربوبية الحق تبارك وتعالى ، كما تتوجه إلى حياة الإنسان الاجتماعية وإلى حياته الشخصية ، وتتوجه أيضاً إلى تربية النفس وتزكيتها ، وإلى القيام بالشكر تجاه

النعم الإلهية .

نذكر حكمة واحدة من بين الحكم الكثيرة جداً من حيث تجلي ربوبية الحق تبارك وتعالى من خلال الصوم هي :

إن الله سبحانه وتعالى قد خلق على وجه الأرض مائدة ممتدة عامرة بالنعم التي لا يحصرها العد ، وأعدها إعداداً بديعاً من حيث لا يحتسبه الإنسان ، فهو – سبحانه – يبين بهذا الوضع ، كمال ربوبيته ، ورحمانيته ، ورحيميته ، بيد أن الإنسان لا يبصر تماماً – تحت حجاب الغفلة وضمن ستائر الأسباب – الحقيقة الباهرة التي يفيدها ويعبر عنها هذا الوضع ، وقد ينساها ، أما في رمضان المبارك فالمؤمنون يسبحون فوراً في حكم جيش منظم ، يتقلدون جميعاً وشاح العبودية لله ، ويكونون في وضع متأهب قبيل الإفطار لتلبية أمر القادر الازلي : "تفضلوا" إلى مائدة ضيافته الكريمة ، فيقابلون – بوضعهم هذا – تلك الرحمة الجليلة الكلية بعبودية واسعة منظمة عظيمة ، ترى هل يستحق أولئك الذين لم يشتركوا في مثل هذه العبودية السامية ، وفي مثل هذه الكرامة الرفيعة أن يطلق عليهم اسم : الإنسان" ؟

(٤) وهذه رسالة الاقتصاد ، افتتحها بقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ، وفيها سبع نكت ، يقول في النكتة السابعة :

"إن الإسراف ينتج الحرص ، والحرص يولد ثلاث نتائج :

أولاها : عدم القناعة ، وعدم القناعة هذا يثني الشوق عن السعي وعن العمل ، بما يبث في نفس الحريص من الشكوى بدلاً من الشكر ، قاذفاً به إلى أحضان الكسل ، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه من مال غير مشروع ، فيهدر في هذه السبيل عزته ، بل كرامته .

النتيجة الثانية للحرص : الخيبة والخسران ، إذ يفوت مقصود الحريص ويتعرض للاستئقلال ويحرم من التيسير والمعاونة حتى يكون مصداق القول المشهور : "الحريص خائب خاسر" .

إن تأثير الحرص والقناعة ليجري في عالم الأحياء وفق دستور شامل وسنة مطردة ، النتيجة الثالثة : إن الحرص يتلف الإخلاص ويفسد العمل الأخروي لأنه :

لو وجد حرص في مؤمن تقي لرغب في توجه الناس وإقبالهم إليه ، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يمكنه الوصول أبداً إلى الإخلاص التام ولا يمكنه الحصول عليه ، فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة" .

(٥) ورسالة بعنوان : الحريص خائب خاسر ، وأخرى : الآجال معينة والأرزاق مقننة .

(٦) ورسالة أخرى عن الحضارة التي أفقرت البشرية ، تحدث فيها عن المدنية الحاضرة الغربية .

يقول في آخرها كخلاصة الكلام :

"إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كلياً إلى الأديان السماوية ؛ لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع ، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها ، وهي تتمادي في تهييج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة ، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات ، زد على ذلك ، فقد ألقت – بذلك – الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطل المدمر ، بعد أن شجعته على وسائل السفاهة ، وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل ، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدى باتباعه هوى المدنية الحاضرة وسيره وراء سفاهتها ولهوها .

زد على ذلك ، فقد ولدت المدنية في ذلك الإنسان المعوز العاطل أمراضاً وأسقاماً وعللاً ، إذ أصبحت وسيلة ، إلى انتشار مئات من الأوبئة والأمراض في أرجاء المعمورة ، بثتها في الأوساط بسوء الاستعمال والإسراف" .

(٧) ومن كليات رسائل النور "زهرة النور" وهي تتضمن رسالة المرضي ، ورسالة المناجاة ورسائل أخرى ، تحدث في رسالة المرضى عن خمسة وعشرين دواءً ، بياناً مجملاً ، ولعلها تكون سبباً للتسلية الحقيقية لمرضى القلوب والأجسام ، يصف الدواء الخامس والعشرين فيقول :

"أيها الإخوان المرضى ! إذا كنتم تشعرون بحاجة إلى علاج قدسي نافع جداً ، وإلى دواء لكل داء يحوي لذة حقيقية ، فاكشفوا إذن عن إيمانكم وصقلوه ، أي تناولوه بالتوبة والاستغفار والصلاة والعبادة والعلاج القدسي

المتمثل في الإيمان الذي يحوي ذلك العلاج" .

ويضمن هذا الدواء الأخير عزاء بطفل ، وفيه خمس نقط ، جاء في النقطة الأخيرة :

"إن هذا الطفل الذي يعاني ما يعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم إلى قدس جنته بعد ما يخرجه من هذه الدنيا القذرة ، زد على ذلك ، سيجعله لك مشفعاً ، كما سيجعله لك أيضاً ولداً أبدياً ... فلا تقلق إذن ولا تغتم ، فالفراق موقت ، واصبر قائلاً : "الحكم لله" ، "إنا لله وإنا إليه راجعون" .

(٨) ورسالة باسم "رائد الصابرين" وهي تتضمن خمس نكت :

ومن النكتة الأولى :

"كل ما تكسبه أيدينا من إثم ، وكل ما يلج إلى أذهاننا من شبهة ، يشق جروحاً غائرة في قلوبنا ، ويفجر قروحاً دامية في أرواحنا ... ثم إن جروح سيدنا أيوب عليه السلام كانت تهدد حياته الدنيا القصيرة بخطر ، أما جروحنا المعنوية نحن فهي تهدد حياتنا الأخروية المديدة بخطر ... فنحن إذن محتاجون أشد الحاجة إلى تلك المناجاة الأيوبية الكريمة بأضعاف أضعاف حاجته عليه السلام إليها وبخاصة : أن الديدان المتولدة من جروحه عليه السلام مثلما أصابت قلبه ولسانه ، فإن الوساوس والشكوك – نعوذ بالله – المتولدة عندنا من جروحنا الناشئة من الآثام والذنوب تصيب باطن القلب الذي هو مستقر الإيمان فتزعزع الإيمان فيه وتثلمه ، وتمس اللسان الذي هو مترجم الإيمان فتسلبه لذة الذكر ومتعته الروحية ، ولا تزال تنفره من ذكر الله حتى تسكته كلياً" .

(٩) رسالة إلى طبيب بعث بها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي إلى طبيب اشتاق كثيراً إلى رسائل النور :

(١٠) ورسالة المناجاة التي يعرّفها بقوله :

"إن رسالة" المناجاة تثبت وجوب الوجود والوحدة والأحدية ، وجلال الربوبية ، وعظمة القدرة ، وسعة الرحمة ، وعمومية الحاكمية ، وإحاطة العلم ، وشمول الحكمة ... وأمثالها من الأسس الإيمانية ، تثبتها بأسلوب موجز خارق وبقطعية فوق العادة وبخالصية ويقينية ... وإن إشارتها إلى الحشر – وبخاصة إشارتها الشديدة في ختامها – قوية جداً .

(١١) وله رسالة الملائكة ، تشرح أن التصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان ، وهي تحتوي على أربعة أسس .

(١٢) ورسالة المقصد الثاني فيها بيان للقيامة ودمار الدنيا والحياة الآخرة ، تحتوي على أربعة أسس ، ومقدمة .

(١٣) وهذه رسالة "من ثمرات الإيمان بالملائكة في الحياة الدنيا" .

جاءت في خلال هذه الرسالة إشارة إلى ما تحويه رسائل النور :

يقول الأستاذ النورسي : "إن جميع ما في رسائل النور من موازين وموازنات ومقارنات إنما هو لبيان ثمار سعادة الإيمان ونتائجها التي تعود للحياة الدنيا والحياة الأخرى ، فتلك الثمار الكلية الضخمة كما أنها تري في الدنيا سعادة الحياة وتذيق لذائذها خلال العمر ، فإنها تخبر كذلك أن إيمان كل مؤمن سيكسبه في الآخرة سعادة أبدية ، وتشير كذلك أن هذه السعادة الدنيوية تثمر وتتكشف وتنبسط بالصورة نفسها هناك ، فمن نماذج تلك الثمار الكلية العديدة كتبت خمس ثمار منها على أنها (للمعراج) في نهاية (الكلمة الحادية والثلاثين) وخمس ثمار في "الغصن الخامس للكلمة الرابعة والعشرين .

فكما ذكرنا آنفاً أن لكل ركن من أركان الإيمان ثماراً كثيرة جداً بلا حدود ، فلمجموع أركان الإيمان معاً ثمار لا حد لها أيضاً ، إحداها : الجنة العظيمة .

والأخرى : السعادة الأبدية .

الثالثة : وهي ألذها هي رؤية الله جل جلاله هناك ، وقد وضحت بجلاء في المقارنة المعقودة نهاية "الكلمة الثانية والثلاثين" بعض ثمار الإيمان الذي هو محور سعادة الدارين" .

مدى انتشار رسائل النورسي :

يقول الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة في حديثه عن الأستاذ سعيد النورسي في كتابه : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين .

"وقد أخذت رسائل النور في الانتشار ، فألفت في كل بلدة جماعة تدين بمبادئها ، وتنادي جهرة بعودة التشريع الإسلامي لحكم البلاد ، وقد طبع

تلاميذ النورسي رسالة (مرشد الشباب) في مطبعة كبيرة ، نشرت منها آلاف النسخ ، بعد أن كانت الرسائل تفرق مخطوطة باليد ، وكل من يقرأ نسخة يكتب مثلها ، ويعطيها لمن يقرأ ثم يكتب ! وكان طبع الرسالة سبباً ، في اتهام النورسي من جديد ، فقدم إلى المحاكمة بتهمة مخالفته للمادة (١٦٣) من الدستور ، وهي تحظر كل نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية ؛ وجيء بالمتهم البريئ ، ليستمع قول ممثل الاتهام : "إن المؤلف يحاول في رسالته نشر الفكرة الدينية ، ويرسم طريقاً للشباب يفضي إلى اعتناق مبادئ الإسلام ، ويدعو النساء إلى الاحتشام وعدم التبرج وستر ما يوحى بالفتنة تبعاً لمنطق القرآن ! ثم يدعو إلى تدريس الدين بالمدارس" !! وكان الظن به أن ينكر إشرافه على طبع الرسالة ، لأنه لم يشرف فعلاً ، بل قام بذلك تلاميذه ، لكنه قال : "إن طبع الرسالة كان مصدراً ارتياح لنفسه ، لأنها بها ينقذ آلاف الشباب والشابات من التيارات الهادمة للمجتمع التركي" (٦) .

خاتمة البحث :

إن الشيخ النورسي كان مؤيداً من الله تعالى ، وموفقاً منه في إزالة آثار الجهل والظلم والإلحاد ، وفصل الشعب التركي عن تاريخه الإسلامي المشرق الأصيل ، فقام في أوساط الشباب والعلماء والجماهير المسلمة بغاية من الجدية والإخلاص الكامل والحكمة اليمانية والفراسة الإيمانية ، لكي يبعث في قلب كل مسلم ثورة ضد الظلم والطغيان والحيد عن منهج العقيدة والإيمان ، فكان يتحرق غيظاً على كل محاولة باطلة وعلمانية طاغية ، وإجرامات سياسية ، ولا يكاد يصبر على بقائها للحظة واحدة في تركيا ، وقد بلغ به الله من الجراءة الدينية والشجاعة الإيمانية إلى مكانة سامقة ، حيث لم يخش أي قوة مادية أو سلطة ارتجالية .

ورغم الظروف الخطيرة التي كانت تحيط به من كل جانب ، وعلي كل مستوى ، لم يقم لها وزنا ما ، وكان لا يعتبر كل ذلك أكثر من طنين ذباب أو لسعة نحل ، إنما ثورة الإيمان الخالص التي اشتعلت نارها في قلوب

(٦) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ص/١٨٢ .

الناس ، وارتفع أوارها في كل ناد ومجتمع ، إنها رسائل النور التي تهافت عليها الشباب المسلم كالفراش المبثوث ، وتلقفتها الأيدي ، كأنها ضالتها ، لما فيها من تأثير وقوة وتنوير وتبصير ، وكان المثل السائر يتمثل للعيون عندها : "الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها فهو أحق بها" .

وكان رئيس وزراء تركيا في ماض قريب الأستاذ نجم الدين أربكان (رحمه الله تعالى) ، ضمن أولئك الشباب المؤمن ، الذي كان قد استنار قلبه برسائل النور ، والذي كان نتيجة مجاهدات الشيخ الجليل بديع الزمان النورسي وتربيته الإيمانية الحكيمة ، واستأثرت رحمة الله تعالى بالعلامة النورسي في ٢٣/ مارس ١٩٦٠م في مقره الأخير أرفا في تركيا ، حيث احتضنته رحمة الله سبحانه ، تغمده الله تعالى بالنعم والقبول ، وقد عاش ما عاش مبجلاً مكرماً ، داعية مخلصاً متفانياً في حب الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ، وكان عمره قد ناهز خمساً وثمانين سنة .

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولـــكنه بـــنيان قوم تهدمـــا

ورغم محاولة الحكومة أن يدفن في مكان مجهول ، إلا أن ذلك لم يتحقق وعرفه الناس ميتاً كما عرفوه حياً ، والدوام لله وحده ، والله ولي المتقين .

وصلى الله تعالى خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

مصادر البحث :

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للعلامة الندوي .
(٢) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للعلامة النورسي .
(٣) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومي .
(٤) رساله الشكر للعلامة النورسي .
(٥) رسالة الحمد .. .. . (٦) رسالة رمضان .. .. .
(٧) رسالة الاقتصاد .. .. . (٨) زهرة النور .. .. .
(٩) بديع الزمان النورسي : الشخصية والحركة للأستاذ ثروة صولة .
(١٠) أسبوعان في تركيا للعلامة الندوي .

****

دراســـات وأبـحاث:

اعتراضات المستشرقين
ضد القرآن الكريم والرد عليها

بقلم : الأستاذ محمد نور الإسلام
مسئول تحرير مجلة الهدى (بنغلا ديش)

التقديم :

إن المستشرقين هم الذين يهتمون بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف ، وثقافات وميزات ، وسمات حضارية متنوعة ، وقد اختلف كثير من الباحثين والعلماء في تعريف المستشرقين، وذهبوا إلى مذاهب شتى ، وأبدوا آراء متنوعة عن الاستشراق والمستشرقين ، ولعل أحسن تعريف للمستشرقين هو أنهم أبناء اليهود أو النصارى أو غير المسلمين الذين يتجهون صوب الشرق لدراسة حضاراته ودياناته وثقافته ولغته وآدابه ؛ لأهدافهم الدينية والسياسية ، والاقتصادية والعلمية ، والاجتماعية والاستعمارية وغيرها .

وبكلمة أخرى : هم دارسو الإسلام والمسلمين والعرب من غير المسلمين ؛ لتنفيذ أهدافهم السرية ، خاصة بقصد التشويه في الدين والتشكيك فيه ؛ لأن معظم بحوث هذه الفئة ودراساتهم تركزت عليها ، وهنا نذكر الاعتراضات التي قدمها المستشرقون ضد القرآن الكريم ، ثم نرد عليها جواباً لهم .

الاعتراضات التي قدمها المستشرقون ضد القرآن الكريم :

أخذ المستشرقون ينشرون اعتراضات وافتراءات وادعاءات حول القرآن الكريم ، وذلك بحجج متنوعة ، ودلائل عجيبة .

أما الذين يذهبون إلى أن القرآن الكريم نقل من غيره أو أنه تأليف من محمد – ﷺ – فمن روادهم : ألوي سبنجر (Aloy Spenger) ووليم ميوير (Wiliiam Muir) ، وثيودور نولدكة (Theodore Noldeke) ، واجناز جولدتسهير (Ignaz Goldziher) ، ودبليو فلهاوسن (W. Wellhausen) ، وليون

كايتاني (Leon Caetani) ، ودفيد ساموبل مرجليوث (Devid Samuel Margoliouth) ، وقد قام بتطوير آرائهم وتضخيم استنتاجاتهم آخرون تبعوهم في القرن العشرين الميلادي ، وفي مقدمتهم ريشتارد بيل (Ritchard Bell) ، وتلميذه وليم مونتغمري وات (William Montogomery Watt) ، وجميع هؤلاء المستشرقين يسعون بشتى الأساليب إلى استنتاج أن القرآن الكريم من تأليف محمد – ﷺ .

وأما الذين يدعون أن القرآن الكريم قد تطور عبر القرنين الأول الثاني من الهجرة ، فمنهم من اشتهر في هذا المجال ج. وانسبره (J. Wansbourough) ، و ج. ا. بيلامي (J.A. Baellamy) ، وأندور ريبين (Andrew Rippin) ، ويهودا دي نبفو (Yehuda De Nevo) ، وقد قام ببسط ادعاءاتهم وترويجهم آخرون باتريشيا كرون (Patricia Crone) ، ومايكل كوك (Micheal Cook) ، وكينيث كراج (Kenneth Cragg) ، وتوبي ليستر (Toby Lester) .

ومما سبق يتبين أن الاعتراضات التي قدمها المستشرقون ضد القرآن الكريم تتضمن اعتراضين رئيسين من جانبين :

الجانب الأول من المستشرقين :

ادعاؤهم أن القرآن الكريم نقل من غيره ، أو هو من وضع البشر أو من تأليف محمد – ﷺ – فيركزون على الادعاءات التالية :

الادعاء الأول : إن محمداً – ﷺ – كان رجلاً طموحاً ، واتخذ خطوات مدروسة لتنفيذ ما كان فيه ، فحدث ما يحدث فيما بعد ، أي يمكن له تأليف القرآن .

الادعاء الثاني : إن محمداً – ﷺ – كرس نفسه لفن الشعر ؛ ليستطيع نظم القرآن ، حتى استطاع .

الادعاء الثالث : إن محمداً – ﷺ – اقتبس الأفكار والقصص من اليهودية والنصرانية ، ثم ضمنها القرآن .

الادعاء الرابع : إن محمداً ﷺ أخذ القرآن ، وأصول دينه وأخبار

الأنبياء والمرسلين عن الراهب بحيرا عند ما لقيه في الشام ، وعن ورقة بن نوفل ، وعن الغلام الذي كان يعمل في مكة المكرمة .

الادعاء الخامس : إن محمداً – ﷺ – لم يكن رجلاً غير عالم بالكتابة والقراءة كما يزعم المسلمون بأنه كان أمياً ، وإن لفظ "الأمي" المنسوب إليه يعني شيئاً آخر .

الادعاء السادس : إن كلمة "الوحي" لا تعني إلقاء النص من الله تعالى ، بل تعني "اقتراحاً أو إشارة" (Suggestion) ، أو "التكلم الذهني" (Intellectual Locution) .

الادعاء السابع : إن كثيراً من الأخطاء العلمية المعاصرة ، خصوصاً تلك التي تتصل بالعالم والكون ، معكوسة في القرآن ويوجد فيه العديد من العبارات والمصطلحات الجارية والمفردات الأجنبية ، وكل هذه تدل على أنه من تأليف محمد – ﷺ .

الجواب عن الجانب الأول من ادعاءات المستشرقين ضد القرآن الكريم :

إن الاعتراضات والادعاءات المذكورة ليست جديدة ، والمستشرقون يرددون أقوال مشركي مكة واليهود في المدينة ، فنقول في جوابنا عمن ادعى أنه نقل من غيره أو من وضع البشر ، أو هو من تأليف محمد – ﷺ – سواء كان المدعي من المستشرقين أو المشركين أو الكافرين – جوابين : الأول منهما على ضوء القرآن الكريم ، وثانيهما على ضوء الفكر الإسلامي ، كالتالي :

الجواب الأول :

إن المستشرقين يحاولون دائماً أن يثبتوا أن القرآن الكريم نقل من غيره أو وضع من تأليف محمد – ﷺ – كما يشهد التاريخ أن النقاد من الكفار وغير المسلمين منذ عهد النبي – ﷺ – لم يزالوا يكررون آراء مشركي مكة حيال القرآن بأنه ما هو إلا قول البشر ، أو أن صاحبهم "الأمين" و "الأمي" قد أصبح شاعراً أو ساحراً مجنوناً ؛ أو أن بشراً آخر علمه القرآن ؛ والآيات القرآنية ليست إلا ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (سورة الفرقان الآية/٥) ، كما ذكر القرآن عنهم قولهم .

فيرد القرآن على جميع هذه المزاعم والاعتراضات رداً قاطعاً ، وذلك بطرق سبعة رئيسة ، وهي :

(١) يقول الله تعالى : إن القرآن الكريم ليس بقول البشر ، وما هو بقول شاعر ، ولا بقول كاهن ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (سورة يس الآية/ ٦٩) .

(٢) ويكرر الله في القرآن أنه هو الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، وأنه تنـــزيل من رب العالمين بلسان عربي مبين .

(٣) كما يأمر الله رسوله – ﷺ – قائلاً : ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة : الآيتان/ ١٦ – ١٧) .

هذه المجموعة من الآيات القرآنية تدل على أن ما يلقى على الرسول ﷺ ، كان نصاً معيناً ، ولم يكن فكرة وتصوراً فقط .

(٤) كما يقوم الله – سبحانه وتعالى – بمواساة نبيه – ﷺ – مراراً وبتشجيعه على تحمل معارضة الكافرين وإعراضهم عن الحق بالصبر والمصابرة ، مذكراً إياه بأنه لم يكن من قبله من نبي مرسل إلا وكذبه قومه وواجهوه بالظلم والطغيان .

(٥) كما يعلن الله للجميع أنه لو تقول علينا بعض الأقاويل ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (سورة الحاقة الآيات/ ٤٥ – ٤٧) .

(٦) ويخبر رسوله والمؤمنين قائلاً : ﴿لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ، أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ، وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (سورة النساء الآية/١٦٦) ، كما يأمر الله نبيه أن يقول للناس : إن الله هو شاهد بينه وبينهم في أمر الوحي القرآني ؛ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٩) .

هذه المجموعة من الآيات مهمة جداً ؛ فإنها تقرر أن وحي الله أمر خاص بينه وبين نبيه ، ولا يستطيع أحد آخر الاطلاع عليه .

(٧) وفوق كل هذا ، يتحدى الله الجميع ويحذرهم قائلاً : ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/٢٣ – ٢٤) .

وهذا التحدي مفتوح إلى الأبد ، فمن في الأرض يستطيع هذا التحدي ؟ لم نجد أحداً حتى مضى ١٤٣٠ سنة ، ولن نجد أبداً ، وهذا يثبت أن القرآن ليس منقولاً من غيره ، ولا من وضع البشر ، ولا من تأليف محمد – ﷺ .

والجواب الثاني :

(١) إن الادعاءات المذكورة ضد القرآن مجردة من الدليل ، خالية من التحديد والتعيين ، ومثل هذه الدعاوي لا تقبل ما دامت غير مدللة ، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد – ﷺ – من بحيرا الراهب ؟ ومتى كان ذلك ؟ وأين كان ذلك ؟

(٢) إن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه – ﷺ – سافر إلى الشام في تجارة مرتين ؛ مرة في طفولته ، ومرة في شبابه ، ولم يسافر غير هاتين المرتين ، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما ، ولم يسمع من بحيرا ولا من غيره شيئاً من الدين ، ولم يكن أمره سراً هناك ، بل كان معه شاهد في المرة الأولى ، وهو عمه أبو طالب ، وشاهد في المرة الثانية ، وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسول بتجارتها أيامئذ .

وكل ما هنالك أن بحيرا رأى سحابة تظلله – ﷺ – من الشمس ، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن ، ثم حذره عليه من اليهود ، وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته ، وليس في شيء من الروايات والتواريخ أنه – ﷺ – سمع من بحيرا الراهب أو تلقى منه درساً واحداً أو كلمة واحدةً ، لا في العقائد ولا في العبادات ، ولا في المعاملات ولا الأخلاق ، فأنى يؤفكون ؟

(٣) وأما الذين يقولون : إن القرآن الكريم من عند غيره ، فالسؤال هنا :

من الغير ؟ ويقولون : إنه من اليهود والنصارى ، فرد الله عليهم أن لسان أولئك ولغتهم أعجمية ، ولكن هذا القرآن عربي مبين ، فكيف للأعجمي أن يأتي بأعلى الفصاحة وذروة البلاغة في اللغة العربية ؟ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل الآية/١٠٣) .

وكذلك من ادعى أنه من تأليف محمد (ﷺ) ، فرد الله سبحانه بأن النبي – ﷺ – لا يقرأ ولا يكتب ، قائلاً : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤٨) ، فثبت أن القرآن الكريم جاء من الله تعالى .

(٤) وأما الذين يقولون : إن القرآن الكريم ما هو إلا مترجم من التوراة والإنجيل ، فيقول في جوابهم : إن الموسوعة البريطانية (الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ، ص/١٤٨) قد أشارت إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود والتوراة والإنجيل قبل خلافة المسلمين ، فكيف إذا أخذ النبي – ﷺ – القرآن منهما ؟

وجود بعض الشرائع في القرآن التي تتفق مع ما في التوراة والإنجيل ، فهذا ممكن ؛ لأن القرآن لم يأت لهدم كل شيء ، بل لتصحيح الخطأ وإقرار الحق ، فالصدق والشجاعة والكرم والحلم والرحمة والعزة – كل هذه المعاني موجودة عند كفار مكة ، ومع هذا جاء الإسلام ولم يغير منها شيئاً ، بل باركها وحث عليها ؛ لذلك قال النبي – ﷺ : إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ، ولم يقل : لأنشئها .

وقد نص القرآن بأنه من الله رب العالمين قائلاً : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

الجانب الثاني من المستشرقين :

وادعاؤهم أن القرآن الكريم اتخذ شكله الحالي تدريجياً عبر تطورات وتعديلات

تمت في القرنين الأول والثاني من الهجرة فكلامهم يشمل الادعاءات التالية :

الادعاء الأول : إن القرآن الكريم قد اتخذ شكله الحالي في القرنين الأول والثاني عبر تطورات وتعديلات ، خاصة في عهد الخلافة .

الادعاء الثاني : إن المصادر التاريخية للقرآن لا يمكن الاعتماد عليها إذ أنها وضعت لأغراض تشريعية ، وإن الشريعة الإسلامية لم تكن خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة .

الادعاء الثالث : إن الحفريات الأثرية في جزيرة العرب كشفت العديد من النقوش القديمة ، تدل على عدم وجود القرآن في القرن الأول الهجري .

الادعاء الرابع : إن المخطوطات القرآنية القديمة التي عثر عليها مؤخراً في صنعاء تشير إلى تطور القرآن خلال فترة طويلة .

الجواب عن الجانب الثاني من ادعاءات المستشرقين ضد القرآن الكريم :

إننا نجد كثيراً من المستشرقين قد حاولوا الادعاء والإيهام بأن القرآن الكريم ليس من عند الله ، وفي هذه السلسلة نرد على ادعاءاتهم الباطلة بالأجوبة التالية :

(١) إن هؤلاء المستشرقين المعترضين خاطئون من نواح عدة الناحية ، الرئيسة منها أنهم يتجاهلون اهتمام المحدثين والمؤرخين ؛ فلم يوجد أحد أثبت بأي تاريخ صحيح أو بروايات صحيحة أن القرآن الكريم قد اتخذ شكله الحالي تدريجياً عبر القرنين الأول والثاني .

والواقع أن المسلمين كانوا يحفظونه بكامله في صدورهم وبكتابتهم في الحجر والورق والجلد وغير ذلك ، ولكن بالإضافة إلى ذلك كان القرآن متداولاً أيضاً في شكل كتاب كامل ، وذلك منذ خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه .

(٢) وإن كان ذلك ، فلماذا لم يكتب أحد من رجال التاريخ والعلماء وغيرهم في هذا الشأن قبل المستشرقين ؟ هل المؤرخون يمتصون الأصابع حينئذ

أم لم يؤلفوا أي كتب تاريخية في هذه المدة الطويلة ؟

(٣) إن المصادر التاريخية الأخرى من العلوم والفنون التي ذكرت في القرآن الكريم لها أسس قوية من ناحية البحث الطبيعي والبيئي والاجتماعي والعلمي والفلسفي ، خلاف ما يزعم المستشرقون ، لأن ما بينه الله – سبحانه وتعالى – في القرآن الكريم من التواريخ والعلوم ، أثبتت بحوث العلوم المعاصرة والتكنولوجيا الحديثة أنه حق وصحيح وليس الخلاف فيه ؛ حيث إننا نجد في هذا المجال بحوثاً ضخمة وكتباً كثيرةً مؤلفة من قبل المسلمين وغير المسلمين ؛ مما يثبت صحة القرآن وأصوله العلمية والفنية .

(٤) والواقع أن الحفريات الأثرية التي حفرت في جزيرة العرب ومخطوطات صنعاء القرآنية التي عثر عليها في سنة ١٩٧٠م ، خصوصاً مخطوطة رقم ٢٠ – ١٠٣٣ في الحقيقة هي تثبت أن القرآن الكريم لم يتخذ شكله تدريجياً عبر القرنين الأول والثاني ؛ بل نزله الله – سبحانه – على محمد – ﷺ – بشكله الحالي عن طريق جبريل – عليه السلام – وتم تجميعه من الصحف والرقاع في خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – ثم اجتمع الناس على مصحف واحد في خلافة عثمان – رضي الله عنه – وهو في أوائل القرن الأول الهجري (وقد جاء التفصيل في كتاب : "الحفريات الأثرية في العرب : دراسة وتحقيق" ، للشيخ عبد الحميد الأزهري .

وفي الختام نقول : إن أعداء القرآن – وخاصة المستشرقين – يحاولون إثبات أن القرآن الكريم من تأليف محمد – ﷺ – أو أنه من وضع البشر ، أو أنه نقل من غيره من التوراة والأنجيل والكتب السابقة ، وقد اتخذوا لإثبات هذه الدعوى وسائل كثيرة ، فعلينا أن نبحث بدقة وعمق عن القرآن وعلومه ؛ كي نرد على المستشرقين بالأدلة والبراهين ، حتى يتحقق قول ربنا ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (سورة الإسراء الآية/٨١) ، والله الموفق والمعين .

***

مفهوم حقوق الإنسان وتطوره

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد بي ، بي ، (جامعة كاليكوت)
والسيد محمد سي (جينادن)
الأستاذ المساعد بالكلية الحكومية – ترور ، مالابرم ، كيرالا

يحتفل العالم في اليوم العاشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام باليوم العالمي لحقوق الإنسان .

اليوم أضحى مفهوم "حقوق الإنسان" من المفاهيم شائعة الاستخدام في الصفحات وعلى المنصات ، خصوصاً في الخطاب السياسي المعاصر ، ظهرت المناداة بحقوق الإنسان عبر التاريخ البشري الطويل منذ القديم ، وبرزت بشكل فكري وفلسفي في القرن الثامن عشر ، الذي اعتبر قرن حقوق الإنسان ، – كما يزعمون – ويعتبر إصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م بموجب قرار الأمم المتحدة تتويجاً لجهود الإنسان عبر العصور .

وحقوق الإنسان كفكرة – لها أصولها وقواعدها وبرنامجها – لم تكن على هذه الصور فيما مضى ، عبر تاريخ البشرية الطويل ، وإنما اعتراها الغموض والتفاوت والاختلاف والتطور والتدرج ، ففكرة حقوق الإنسان أمر فطري جبلي موجود في النفس البشرية والطبيعة الإنسانية ، من لدن أبينا آدم – عليه السلام – وطوال الأحقاب التاريخية المتتالية بعده ، مروراً بالأنبياء والمرسلين ، كما أن هذه القضية شغلت عقول الفلاسفة الأقدمين والمحدثين كأفلاطون وأرسطو وسيرون وميكافيلي وسنبوزا ولوك وروسو ومونتسكيو ، الذين وضعوا نظريات لحقوق الإنسان ، وأقاموها على أساس من الواقع أو على أساس من المنطق (١) .

(١) انظر : "حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية" تأليف د. عبد السلام الترمانيني ، نشر : دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى .

فلا نرى في التاريخ لحظة معينة بدأت عندها الأصول الأولى لفكرة الحقوق الإنسانية ، إن هذه الفكرة أصلها يعود إلى الوقت الذي بدأت فيه الحياة البشرية ، أي مع بداية تكوين حياة مشتركة لمجموعات البشر ، ومن ثم فإن هذه الفكرة ولو بصورتها البدائية ، هي فكرة قديمة قدم الحياة البشرية ، وهو واضح من أن هناك وثائق حقوق الإنسان في شكل أو آخر في جميع مراحل البشرية ، وهناك وثائق قديمة دينية وفلسفية يمكن أن تعتبر من حقوق الإنسان .

ومن أبرز هذه الوثائق مرسوم أشوكا (Edicts of Ashoka) ، صادر عن أشوكا من الهند ما بين ٢٣١ – ٢٧٢ قبل الميلاد ، ودستور المدينة المنورة في سنة ٦٢٢م ، صدرها النبي ﷺ لاتفاق رسمي بين جميع القبائل والأسر في يثرب ، وأما فكرة حماية حقوق الإنسان فقد نمت وتطورت بعد تجارب مأساوية من الحربين العالميتين ، لم يكن هناك تدوين لحماية الحقوق وأعمالها وطنياً أم دولياً (٢) .

إن حقوق الإنسان التي نالت اهتمام عدد كبير من الباحثين والفلاسفة الأوربيين لها امتدادات وجذور أصلية في الفكر العراقي القديم عبر العصور المتلاحقة ، هنا يركز على شريعة حمورابي باعتبارها من أقدم الشرائع التي تناولت حقوق الإنسان ووضعت التشريعات اللازمة لها ضمن تلك المرحلة الزمنية .

شريعة حمورابي والشرائع القديمة :

شريعة حورابي : وهي أشهر القوانين والشرائع العراقية القديمة ، وكان تدوينها حوالي عام ١٧٨٩ قبل الميلاد ، والتي هي واحدة من أفضل الأمثلة المحفوظة على هذا النوع من الوثائق في بلاد ما بين النهرين ، فهي تعرض أحكاماً لمختلف القضايا وعقوبات في حال خرق هذه الأحكام ، بما في ذلك حقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق الأرقاء (٣) .

(٢) Prof. Madhusoodan Tripathi, International Human rights an overview, Page:39 .

(٣) Prof. Madhusoodan Tripathi, International Human rights an overview, Page:40 .

في السنة الثلاثين من حكمه وبعد أن استطاع أن يوحد البلاد بعد أن كانت مجزأةً على شكل دويلات صغيرة ، أصدر حمورابي شريعته الشهيرة التي تعتبر من أهم الشرائع التي اهتمت بحقوق الإنسان في العدل والحرية والمساواة ، ويرى الباحثون أن أهم عمل قام به حمورابي هو تشريعه للقوانين تثبيتها على الحجر وتوزيعها على المدن البابلية لكي يطلع عليها الناس ويسير القضاة والحكام على هدي بنودها في تطبيق العدل وإقرار حقوق الناس .

سجل حمورابي قوانينه على مسلة كبيرة من حجر الداوريت الأسود وهي على شكل مسلة اسطوانية الشكل يبلغ طولها ٢٢٥ سنتمتراً وقطرها ٦٠ سنتمتراً وهي مسلة اسوانية ولكنها ليست دائرية تماماً ، وقد تم العثور على المسلة في سوسا عاصمة عيلام أثناء حفريات البعثة التنقيبية الفرنسية ما بين عامي ١٩٠١ – ١٩٠٢م ، وقد رتب حمورابي مواد شريعته في أربعة وعشرين حقلاً وكتبت بالخط المسماري وباللغة البابلية ، وتحتوي المسلة على ٢٨٢ مادة تناولت جوانب الحياة البابلية المختلفة ، ويرجح الباحثون أن مواد المسلة تزيد على ٣٠٠ مادة ، والتخريب الحاصل في أحد أجزاء المسلة لم يمكن الباحثين من معرفة عدد المواد المخربة على وجه الدقة والتحديد (٤) .

تناول شريعة حمورابي جميع ما يتعلق بتنظيم الحياة في ذلك الوقت ، فالمواد من ١ إلى ٥ تتعلق بالقضاء والشهود ، والمواد من ٦ إلى ٢٥ تتعلق بالسرقة والنهب وجزاء السارق والناهب ، والمواد من ٢٦ إلى ٤١ تتعلق بتنظيم الجيش ، وهناك مواد عديدة أخرى تناولت الحقول والبساتين والبيوت والقروض ، ونسبة الفائدة والتعامل مع التجار الصغار والتجار الكبار والديون والإئتمان ، ويتضمن القسم الثامن من المادة ١٢٧ إلى المادة ١٩٤ كل ما يتعلق بالشؤون العائلية كالزواج والطلاق والإرث والتبنى والتربية والروابط

(٤) Hammurabi http://en.wikipedia.org/wiki/Codeof .

العائلية وإنجاب الأطفال ، وفيما يتعلق بتطبيق العدالة وعقوبات القصاص تتناول المواد من ١٩٥ إلى ٢١٤ كل ما يتعلق بالخصومات بين الأشخاص والأضرار التي يحدثها البعض للبعض الآخر إضافة إلى جوانب عديدة أخرى تناولتها بنود هذه المسلة وحاولت من خلالها إقرار العدالة والمساواة والحرية الشخصية التي تحترم الأعراف والتقاليد السائدة في ذلك الوقت .

وجدير بالذكر أن النسخة الأصلية من مسلة حمورابي معروضة الآن في متحف اللوفر الفرنسي ولا يملك العراق وهو صاحب هذه المسلة إلا نسخة جبسية معروضة في القاعة البابلية في المتحف العراقي الذي تم نهبه عند سقوط النظام السابق (٥) .

شرائع سبقت شريعة حمورابي :

سبقت شريعة حمورابي ، التي تعتبر من أهم وأقدم الشرائع في التاريخ ، شرائع أخرى بالغة الأهمية فهي الممهدات الأولى التي ساعدت وسارعت بالوصول إلى شريعة بالغة الأهمية في التاريخ ويعني بها شريعة حمورابي ، وحقيقة الأمر أن حمورابي بذكائه وفطنته استفاد من جميع الشرائع التي سبقته ، فأخذ أهم ما فيها من تشريعات أضافة إلى تشريعاته .

وأهم الشرائع التي سبقت شريعة حمورابي هي :

وثيقة إصلاحات أور كاجينا : وقد تم العثور على جميع نسخ هذه الوثيقة في تنقيبات البعثات الفرنسية في مدينة (لكش) عام ١٨٧٨م وترجمها لأول مرة العلامة الفرنسي فرانسوا تورو دانجان ويشير الباحثون إلى أن الملك السومري أور كاجينا ترك كتابات مهمة وسن قوانين وفرت للشعب السومري الحرية والعدالة الاجتماعية (٦) .

(٥) http://www.erfan.ir/article/article.php حقوق الإنسان .... في شريعة حمورابي .

(٦) موقع سماحة العلامة الأستاذ الشيخ حسين أنصاريان www.ansarian.ir .

(١) شريعة أور نمو : تعتبر هذه الشريعة من أقدم الشرائع المعروفة ، دون هذه المخطوطة القانونية حوالي عام ٢٠٥٠ قبل الميلاد (٧) ، وأور نمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢٠٠٣ – ٢١١١) قبل الميلاد ، ويعتقد الباحثون أن هناك شرائع أخرى سبقت شريعة أور نمو قد يكشف المستقبل عنها بجهود الباحثين في هذا الميدان وقد احتوت شريعة أور نمو على ٣١ مادة قانونية ، كما ضمت هذه الشريعة ما يشبه أصول القوانين الحديثة عن مبررات إصدار هذا التشريع (٨) .

(٢) شريعة لبت عشتار : تتألف شريعة لبت عشتار من أربع كسر تم العثور عليها من قبل باحثين من جامعة بنسلفانيا حيث عثروا على هذه الكسر في السنوات الأولى من بداية القرن العشرين وقام بدراستها وترجمتها الباحث الأمريكي فرنسيس ستيل ونشرها لأول مرة عام ١٩٤٧م ، وبعد سنتين نشر فرنسيس إضافة لهذه الشريعة وجدها في كسرة أثناء التنقيبات تعرف عليها كريمر وفيها تكملة لبعض القوانين في هذه الشريعة ، ولبت عشتار هو خامس ملوك سلالة آيسن (١٧٩٤ – ٢٠١٢) قبل الميلاد ، ويعتقد الباحثون قانون لبت عشتار كان مدوناً على مسلة كبيرة كانت مقامة في مكان يتجمع فيه أكبر عدد من الناس وهذه الحقيقة يمكن استنتاجها من مقدمة القانون وخاتمته .

(٣) قانون اشنونا : تم العثور على ألواح من قانون اشنونا من خلال التنقيبات التي قامت بها المؤسسة العامة للآثار في العراق في موقع تل حرمل الواقع في بغداد وذلك سنة ١٩٤٥م ، وفي نفس العام أعلن الباحث العراقي المعروف طه باقر عن اكتشاف لوحين خلال التنقيبات المذكورة

(٧) Prof. Madhusoodan Tripathi, International Human rights an overview, Page:40 .

(٨) فواد قزانجي ، صحيفة المدى ٤ تموز ٢٠٠٩ .

مدونين بشريعة كانت تعرف بقوانين أشنونا ، وتاريخ هذه القوانين غير معروف على وجه الدقة والتحديد إلا أنه وكما يؤكد الباحثون يسبق شريعة حمورابي بنصف قرن أو أكثر (٩) .

مدونة سيروس ومراسيم أشوكا :

وفي رأي بعض المؤرخين أن الإمبراطورية الفارسية قامت بتأسيس مبادئ حقوق الإنسان في ظل حكم سايروس العظيم في القرن السادس قبل الميلاد ، فبعد غزوه لبابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، أصدر الملك المبادئ المعروفة بمدونة سيروس ، والتي اكتشفت عام ١٨٧٩م ، وتم الاعتراف بها اليوم من قبل الكثير كأول وثيقة لحقوق الإنسان ، وقد ألحقت ببعض المراسيم المصدرة من قبل سايروس ، وأعلن في المدونة أنه من المسموح لمواطني الإمبراطورية مزاولة شعائرهم الدينية بحرية ، وتم فيها أيضاً إلغاء العبودية ، تقع المدونة الآن في المتحف البريطاني ونسختها موجودة في مقر الأمم المتحدة (١٠) .

بعد ثلاثة قرون أسست الإمبراطورية المورينية في الهند القديمة مبادئ لم يسبق لها مثيل في مجال الحقوق المدنية ، وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد في عهد أشوكا العظيم ، فبعد غزوه الوحشي لكالينغا حوالي عام ٢٦٥ قبل الميلاد ، أحس أشوكا بندم كبير لما اقترفته يداه ، ونتيجة لذلك اعتنق البوذية ، وأصبح يدعى "أشوكا الورع" بعد أن كان يدعى "أشوكا القاسي" ، وقد قاد أشوكا خلال حكمه سياسة رسمية لا عنيفة (Ahimsa) ، وألغى ذبح الحيوانات غير الضروري ، أو تشويهها ، مثل رياضة الصيد والوسم ، كما أظهر أشوكا رحمة تجاه السجناء ، فسمح لهم بقضاء يوم كل سنة خارج السجن ، وافتتح التعليم المجاني للمواطنين ، وقد عامل رعاياه على المساواة بغض النظر عن

(٩) http://www.erfan.ir/article/article.php حقوق الإنسان .... في شريعة حمورابي ص/٢ .

(١٠) Prof. Madhusoodan Tripathi, International Human rights an overview, Page:41 .

أديانهم أو طبقاتهم ، وأعلن التسامح مع كل الطوائف ، والسخاء تجاه الأصدقاء ، قد تم تدوين كل هذه الإصلاحات في مراسيم أشوكا (١١) .

حقوق الإنسان في الحضارتين اليونانية والرومانية :

(١) الحضارة اليونانية : هذه الحضارة كانت متقدمة إلا أنها لم تعترف بالحقوق السياسية ، لأن المجتمع اليوناني كان مبنياً على السلطة والقوة والعنف ، وحقوق الإنسان كانت منتهكة ، وكان الرق شائعاً بينهم ، وكان سكانها منقسمين إلى ثلاث طبقات :

- طبقة الأشراف ، وكانوا فرساناً وهم أركان الجيوش ، ومنهم الحكام والقضاة والكهنة .
- طبقة أصحاب المهن ، وقد اعترف لهم بحق المواطنة .
- طبقة الفلاحين والفقراء : وهي الطبقة المحرومة من كل شيء ، وكانت تزداد فقراً حتى وصل الأمر بطبقة الأشراف والطبقة الوسطى أن تبيع هؤلاء نتيجة لعدم قدرتهم على دفع ديونهم .

وفي أواخر القرن السادس قبل الميلاد صدر صولون بإصلاحات ، حيث قسم السكان إلى أربع طبقات بدلاً من ثلاث على أساس الثروة ، فبموجب قانون صولون الذي صدر عام ٥٩٤ ق ، م ، منح الشعب حق المشاركة في السلطة التشريعية عن طريق مجالس الشعب ، كما جعل القانون للشعب حقاً في المساهمة بانتخاب قضائه (١٢) .

ثم قام أركون ، أي حاكماً فألغى الاسترقاق القائم على أساس الدين ، وحرر الفلاحين المديونين ، وفي سنة ٥٠٧ قبل الميلاد أنشأ كلشيز حكومة ديمقراطية وبدأ عهد الانتخابات بالقرعة ، وازدهرت الديمقراطية اليونانية لفترة

(١١) http://rafat-samir.maktoob.com .

(١٢) د. محمد يوسف علوان ، مذكرات في مقرر حقوق الإنسان ، الكويت ، ص/٣ .

من الزمن ، ويمكن أن نقول بأنها سقطت بعد إعدام سقراط ، ويذكر بأن اليونان عرفت مؤسسات دستورية في عصر الازدهار ، ومهما يكن من أمور فلم يكن للفرد حقوق وليدة شخصيته الخاصة ، وإنما كانت حقوقاً تابعة لمركزه في الجماعة ، ولم تفرض الدولة عليه تكاليف وواجبات وإنما نجمت عن حاجته إلى إظهار مواهبه وإمكانياته (١٣) .

(٢) الحضارة الرومانية : كان المجتمع الروماني يتألف من فلاحين ، معظمهم منصرفون إلى الزراعة ، وكانت أعرافهم والحالة هذه ، في حدود ما يمكن الوصول إليه منها هي الأعراف التي تلاءم المزارعين .

وكانت النظم الاجتماعية متصفة بتركيز السلطات تركيزاً قوياً ، فكان جميع أفراد هذه الجماعة خاضعين لسلطة شديدة يمارسها الرئيس والحاكم ، الذي له وحده امتلاك الأهلية الحقوقية ، أما بقية الأفراد فليس لهم أي استقلال ، مهما كان عمرهم ووضعهم الاجتماعي .

وفي القرن الثالث بعد الميلاد انقلب المزارعون إلى تجار ، وانعكس هذا التبدل في بنيتهم الاقتصادية على الحقوق عندهم .

واعترفت روما بالرق والعبودية فكان جزءاً كبيراً من سكانها من العبيد ، وكانت المرأة ملكاً لزوجها وكان الأولاد محلاً للرهان والبيع من آبائهم ، فالطبقات العليا هي التي لها حق المواطنة ، أما الباقون فكانوا من العبيد الفقراء ، فطبقت روما القانون على أهلها ، ورغم وجود القواعد القانونية إلا أن الحكام أساؤا تطبيقها ، ومع الزمن اتسعت الإمبراطورية الرومانية وتعددت ولاياتها وتعددت الشعوب .

وعرفت روما في عهدها الملكي مجلساً للشيوخ ، ومجالس شعبية وكان دور مجلس الشيوخ تقديم المشورة للملك ، لكن هذه المجالس كانت محتكرة من قبل الطبقات العليا .

أما في العهد الجمهوري فقد خلع الملك ، وحل مكانه قنصلان

(١٣) فرج محمود أبو ليلى ، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي ، ص/١٧ ، الهيئة العامة ، الإسكندرية .

يحكمان الدولة وفي ظل هذا الحكم توسعت أنظمة المجالس فدخلها العامة ، لكن تصديق مجلس الشيوخ على القرارات كان وقفاً لقرارات الأعضاء الأشراف وحدهم ، ومهما يكن من أمر فقد حرم الفقراء من الحريات والحقوق السياسية واخضعوا للرق والعبودية ، وكان الوصول للوظائف والمراكز باعتماد القدرة المالية ، ولذلك كانت الطبقات الفقيرة محرومة من التمتع بحقوقها .

إلا أنه صدر في هذا العهد قانون الأثنى عشر ، عام ٤٥٠ قبل الميلاد ، على أثر ثورة الفقراء وعامة الناس على طبقة الأشراف ، فقام مجلس الشيوخ بتعيين لجنة كلفت بوضع نواة لكل تشريع روماني لاحق ، وبذلك أقر هذا القانون المساواة بين الناس في الحقوق ، ووضع تشريعاً للعقوبات والمحاكمات ، والأحوال الشخصية لكنه كان قاسياً في أحكامه ، حيث أجاز استرقاق المدين الذي يعجز عن دفع الديون ، وأجاز كذلك إعدام اللصوص (١٤) .

وقد كان دوّن الرومان العادات والتقاليد والأعراف المرعية في قانون الألواح الأثنى عشر ، لكي ثبتت وتستقر ويتساوى الجميع في معرفتها والخضوع لإحكامها ، وأخذ الرومان ينادون بصورة تدريجية بحرية العقيدة في المسائل الدينية كما أن الفقهاء الرومان قد نظروا إلى الرق نظرة غير مشجعة ، ورأى بعضهم أن نظام الرق مضاد للطبيعة ، وقد أكد (أولبيان) أنه لا يجوز في القانون الطبيعي أن يولد الناس إلا أحراراً وأن العبيد وإن عدوا موجودين في نظر القانون الوضعي فإنهم ليسوا موجودين في نظر القانون الطبيعي الذي يقرر وإن الناس جميعاً متساوون (١٥) .

(يتبع)

---

(١٤) فرج محمود أبو ليلى ، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي ، ص/١٩ ، ٢٠ الهيئة العامة ، الإسكندرية .

(١٥) د. عباس العبودي ، ضمانات العدالة في حضارة وادي الرافدين ، دراسات قانونية ، العدد الثاني ، ٢٠٠٠ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص/١٩ – ٢٠ .

سوريا في مرآة التاريخ

بقلم : السيد محمد عمر فاروق
طالب الدكتوراه : بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدر آباد ، الهند
E-mail: umarfaruqmusa@gmail.com

في عام ٦٣٧م فتح أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد بلاد الشام ، فانتشر الإسلام بسرعة فائقة في هذه المنطقة من الأرض ، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ للمملكة الإسلامية ، وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه ، وبعد انقراض الخلافة الراشدة ازدهرت وتطورت هذه المنطقة ، لأن دمشق كانت عاصمة للحكومة الإسلامية في عهد بني أمية ، وصارت مركزاً هاماً للعالم الإسلامي ، الذي اتسع إلى حدود فرنسا والصين والهند في عهد وليد بن عبد الملك ، ولذلك أصبحت دمشق قوة كبرى وعاصمة الإمبراطورية العظيمة ، وكان ذلك العهد عهداً ذهبياً في تاريخ الشام ، وفي سنة ١٧١م تربع عمر بن عبد العزيز على عرش الحكومة ، فإنه يعتبر الخليفة الراشد الخامس ، فكان أول مجدد في تاريخ التجديد الإسلامي ، إنه استعاد المال المهضوم من عمال الحكومة ووزعه على المساكين والمعوزين ، وكانت الحكومة الإسلامية اتسع نطاقها إلى ثلاث قارات : آسيا ، أوربا وإفريقيا ، وكان النظام نظام أمن واستقرار وعدل ، وكانت الشام دولة إسلامية سعيدة آنذاك ، حتى يحاول شخص لمنح الزكاة فلا يجد مستحقاً يقبلها ، فإنه كان حاكماً يتسع نطاق حكمه من مدينة كاشغر في الصين إلى أسبانيا وجبال القفقاز ، مع أنه كان خليفة لأكبر منطقة على وجه الأرض ، لا يمتلك مالا فكان يعيش أهله على الخبز والبصل ، وكان لا يتملك إلا قميصاً يكسبه ويلبسه ، فكان أهله وأفراد عائلته لا يتقلبون على فراش النعيم ، بل كانوا يعيشون حياةً خشنةً .

لقد انقرضت أهمية بلاد الشام بعد ما أفلت شمس خلافة بني أمية ،

ولكنها بقيت جزءاً هاماً كمحافظة في عهد الخلافة العباسية ، رقت ثقافتها وتطورت صناعتها ، وبعد زوال العهد العباسي سيطر عليها ملك شاه السلجوقي وجعلها جزءاً من الحكومة التركية السلجوقية ، وبعد وفاة ملك شاه السلجوقي حملت أوربا حملة صليبية بجهودها على ساحل الشام في عام ١٠٩٦م ، وقد حالفها الانتصار والإحتلال على بيت المقدس وسيطرت على جميع المناطق الساحلية .

وفي عام ١١٢٨م تخلصت من سلطة السلجوقيين ، وتربع على عرش الحكومة عماد الدين الزنكي الذي كان تركي النسل ، كان ذا مواهب نادرة في المجالات القيادية والسياسية والعسكرية ، وكان قلبه يتحرق لاستعادة بيت المقدس ، وإنه نال قصب السبق بين رجال التاريخ في استعادة بيت المقدس من براثن الحكومة الصليبية الغاشمة الفاتكة ، وإنه شن حملة عظيمة ضد الصليبيين وهزمهم هزيمةً نكراء عام ١١٤٧م .

وقد كان معه في جميع هذه العمليات التحريرية القائد الإسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي كضابط عظيم للقوات الزنكية حتى قضى على الحكومة الفاطمية الشيعية في مصر عام ١١٧١م ، وسيطرت على مصر الحكومة الزنكية السنية ، واتسع نطاق حكمها إلى حدود السودان وليبيا وما إلى ذلك ... ، ولما توفي نور الدين الزنكي في سنة ١١٧٤م تقلد مقاليد السلطة صلاح الدين الأيوبي ولم يدخر وسعاً في توسيع حدودها ونطاقها إلى الشام ومصر والسودان وليبيا والحجاز واليمن ، ونجح في أن يجعل هذه البلاد ضمن دولة إسلامية موحدة قوية ، حتى أصبحت بلاد الشام مركزاً هاماً مرة ثانية للعالم الإسلامي .

وفي سنة ١١٨٧م انتصر الباسل الإسلامي صلاح الدين الأيوبي على القوات الصليبية بعد حملة ضارية طويلة وفتح بيت المقدس بعد مدة طويلة (امتدت إلى تسعين عاماً) وارتفعت شوكة الإسلام والمسلمين في العالم كله ، وهي مأثرة عظيمة من مآثره وبصمة ثابتة في تاريخ بيت المقدس لا تكاد تنسى ، وفي عام ١١٩٣م وافاه الأجل المحتوم وانتقل إلى ذمة الله ، (رحمه الله رحمة

واسعة وجعل الجنة مثواه) وما برحت تعمل الحكومة الأيوبية إلى سنة ١٢٥٠م ، وكان آخر حاكمها نجم الدين الأيوبي .

في عام ١٢٥٠م بزغت الحكومة المملوكية التركية إلى حيز الوجود في بلاد الشام ، وامتلكت على حلها وعقدها ، وكان عز الدين أيبك أول حاكم لها ، وما زالت تستمر هذه الحكومة إلى سنة ١٥١٦م ، وهذه هي فترة ازدهرت وتطورت فيها الحكومة المملوكية في مصر والشام ، وبينما قتل غوري الحاكم المملوك بيد سلطان سليم العثماني ، واستؤصلت جذور الحكومة المملوكية التركية من بلاد الشام ومصر ، بقيت بلاد الشام كجزء هام للسلطة العثمانية حوالي ٤٠٠ سنة من ١٥١٦م – ١٩١٦م ، وكانت هذه الفترة فترة مثمرة ذهبية للسلطة العثمانية ووصلت ذورتها بالتطور والرقي في ميادين مختلفة .

بعد ما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، قامت الحكومة الاستعمارية البريطانية بإجراءات عدائية ضد السلطة العثمانية ، وأغرت بين العرب العداوة والبغضاء ضدها ، واشتعلت الثورة المضادة للحكم العثماني وكان مركزها الأكبر بلاد الشام ، حتى انقرضت السلطة العثمانية ١٩١٨م ، ودخلت القوات البريطانية والفرنسية في بلاد الشام ، وتوزعت بلاد الشام إلى ثلاث مناطق : الأولى "لبنان" على ساحل البحر الأبيض وجعل حاكماً لها الزعيم المسيحي ، والثانية "فلسطين" وتربع على عرشها الاستعمار البريطاني ، والثالثة "سوريا" وهيمنت عليها الحكومة الفرنسية .

وفي سنة ١٩٤٤م استقلت بلاد الشام من فرنسا ، وشغل محل الحكم شكري القوتلي وصار أول حاكم لها ، وفي عام ١٩٥٤م جرت عمليات الانتخابات في هذه المنطقة ، ورشح شكري القوتلي نفسه في الانتخابات ، وقام بحملة انتخابية بصورة فعالة ، حتى أحرز لواء النجاح والفلاح فيها ، وانتخب حاكماً مرة أخرى ، وألحق بلاد الشام بمصر عام ١٩٥٨م ، وسلط على بلاد الشام حزب "البعث" ، وكان حزباً شيوعياً أسسه ميشيل عفلق المسيحي ، وكان هدفه الأساسي أن يدمر الأفكار ويقوض التيارات العلمية والتعليمية من العرب ، وفي عام ١٩٦٦م قبض على هذه المنطقة جنرال أمين

الحافظ ، ثم أسقط نظامه نور الدين الأتاسي وتوسع عهده السياسي إلى سنة ١٩٧٠م ، ثم اغتصب الدكتاتور حافظ الأسد الحكومة من نور الدين ، واستولى عليها بصورة غاشمة ، وكان عهده الدكتاتوري يشتمل حوالي ٣٠ عاماً إلى سنة ٢٠٠٠م ، وإنه لم يسمح أحداً أن يشارك في أمور الحكومة وشؤونها ، اللهم إلا بعض الأحباء والأقرباء ، والجدير بالذكر أن الإخوانيين لما قاموا بإنهاض الوعي الإسلامي والديني في الشعب السوري ، وخالفوا الحكومة مخالفة شديدة ، قام حافظ الأسد بإجراءات دامية شنيعة ضد الإخوانيين حتى في سنة ١٩٨٢م قتل ثلاثون ألفاً منهم بكل ضراوة بدون رعاية .

في سنة ٢٠٠٠م توفي حافظ الأسد ، وأصبح بشار الأسد رئيساً لسوريا متوارثاً لأبيه ، ويسلك مسلك أبيه في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين ، ولا يزال يستمر منذ ١٢ عاماً متشبثاً بعرش الحكومة ، ومنذ عام ٢٠١١م تصاعدت المظاهرات السلمية ضد النظام الاستبدادي الغاشم لبشار الأسد ، ولكن الجيش النظامي أطلق الرصاص على هؤلاء المتظاهرين ، وكرد فعل أخذ المتظاهرون السلاح ، واشتعلت الثورة السياسية في سوريا وغمرت الأرض بالدموع والدماء ، وخرج الشعب السوري على بكرة أبيها ضد الحكومة والنظام ومواقفها الدنيئة ، والقوات السورية تطلق الرصاصات وتقصف القنابل قصفاً عشوائياً على المواطنين العزل ، مما أسفر عما يربو على خمسة عشر ألفاً من القتلى وثمانين ألفاً من المصابين بالجروح ، وبالإضافة إلى أن الحكومة تواصل إلقاء القبض على المواطنين المجردين عن السلاح ، وتزجهم في السجون ، ومعظمهم منهم يشدون الرحال إلى تركيا ، ويعيشون في مخيم اللاجئين ، ولكن بشار الأسد لم يبرح من موقفه بل يبذل قصارى جهوده ضد الشعب السوري لإنقاذ الحكومة ذات براثن ضارية سفاكة من الشعب المسلم السوري .

(اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل من خذل دين محمد وأمته في سوريا بصفة خاصة وفي جميع أنحاء العالم عامة – "آمين يا رب العالمين") .

****

صور وأوضاع :

وظيفة الإعلام التوجيه ، لا التشويش والاضطراب

بقلم : محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يلتقط الإعلام العالمي الأحداث المثيرة الواقعة في العالم، ويتناولها بالمناقشة والمباحثة من وجهة نظر خاصة، حسب ذوق ومصالح أصحاب الإعلام ،أو الوكالات التي تشرف عليه،ومن هذه الأحداث : الجرائم والحوادث،والبيانات المثيرة للقادة السياسيين، فيثير قضايا تشغل أذهان القراء في الصحف والمشاهدين للتلفزيون والإنترنت، ويكسب الإعلام بذلك مادياً، وصح من قال : "إن الإعلام اليوم أصبح صناعة". ولذلك تهتم الشركات التجارية والأحزاب السياسية بالإعلام أكثر من غيرها .

ويمكن تقدير تأثير الإعلام في الكسب المادي، الفيلم المسيئ للإسلام، الذي أنفق عليه ملايين من الدولار؛ ولكن ساء ظن المنتج للفيلم؛ فإن ردّ الفعل الذي ثار في العالم كله ضد الفيلم المسيئ إلى الإسلام والمسلمين والرسول الكريم ، أدّى إلى خسارة مالية كبيرة للمسئولين عن الفيلم لانصراف عدد كبير من المستفيدين بهذا الموقع عن مشاهدته .

تستغل وسائل الإعلام الأحداث اللافتة للانتباه،وخاصة إذا كانت تتصل بالإسلام والمسلمين،وقد كانت من الأخبار اللافتة في الأيام الأخيرة خبر فتاة باكستانية "ملاله يوسف زئي" التي يقال إن أحداً يدعى أنه ينتمي إلى الطالبان، أطلق عليها النار في رأسها، وأصبح هذا الحادث خبراً عالمياً، ونالت الفتاة شهرة عالمية، وكسبت العطف العالمي، وذلك لأنها كما ذكرت الأنباء أنها وأسرتها أجرت لقاءات مع المسئولين الأمريكيين وطالبت بتدخل أمريكا مباشرة في باكستان واحتلال "سوات" لإجلاء الطالبان منها، نالت هذه الفتاة رعاية عالمية، وعطفاً عالمياً، وكان المقصود من ذكر هذا الحادث تصعيد الدعاية ضد الطالبان، ونسبة العنف والإرهاب إلى الجهات الإسلامية، فقد جعل الإعلام العالمي الطالبان والقاعدة رمزاً للعنف والتشدد الإسلامي، فيقوم الإعلام بتفخيم كل حادث عنف ينسب إلى من ينتمي إلى الإسلام؛ سواء كان عمله مطابقاً لتعاليم الإسلام، أو مخالفاً لها، فأصبح هذا الحادث قضية مهمة، تلفت أنظار العالم،، وفي الوقت نفسه يعرض الإعلام عن الأحداث العسكرية التي تؤدي إلى مقتل عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال في باكستان نفسها، وفي العراق وأفغانستان، والمذبحة التي تجري في سوريا، والإجراءات والغارات الجوية على سكان غزة، وغارات درون الأمريكية التي أصبحت حادثاً يومياً، يقتل فيها الأطفال والنساء العزل .

ويدل على تأثير هذا الحادث والعطف الذي ناله، ما جاء في الأخبار أن الإمارات العربية المتحدة وافقت على إرسال طائرة طبية لنقل الفتاة الباكستانية التي أصيبت برصاص مسلح لحركة الطالبان في حال طلب أطباء باكستانيين علاجها في

الخارج، وعلى عكس ذلك لم ينل الإجراء الذي اتخذه الرئيس الباكستاني العسكري برويز مشرف بإطلاق النار على الفتيات المسلمات المحصورات في المسجد الأحمر بباكستان، والذي قتلت فيه أكثر من أربعمائة فتاة مسلمة، لم ينل تلك الرعاية التي نالها الاعتداء على الفتاة الباكستانية، وقد ركز الإعلام على هذه الفتاة وأعرض عن الفتيات الأخرى التي كن معها، والحقيقة وراء هذا الاهتمام بالفتاة الباكستانية التي نالت الاهتمام؛ أنها أصيبت لتأييدها لأمريكا وصلتها بأسرة أمريكية،فاستغل الإعلام العالمي هذا الحادث للدعاية ضد الطالبان، وتضخمت هذه الدعاية إلى إدانة ما يسميه الإعلام بالمتشددين الإسلاميين، وتخويف العالم بخطر وصول هؤلاء المتشددين إلى الحكم، وقد أصبح من عادة الإعلام العالمي أن أي شخص يدعو إلى الحرية المطلقة، ويثور على الإسلام، أو يعمل عملاً أو يكتب شيئاً يغيظ المتحمسين للإسلام، أو حركة إسلامية، يصبح موضوعاً مهماً، ويصبح في أنظار المسئولين عن الإعلام وحتى الحكومات في أوربا وأمريكا بطلاً من الأبطال، وينال رعاية خاصة، بل ملاذاً، وتتسابق الدول الأوربية إلى منحه اللجوء السياسي لوقايته من غضب مجتمعه .

إن الاعتداء الذي وقع على فتاة باكستانية، حادث يقع مثله في باكستان ودول أخرى، ولا يلتفت إليه الإعلام، ولا يذكر مثل هذه الأحداث في الصحف، ولا ينال التنديد، وإذا كان هذا الاعتداء على شخصية إسلامية لا يذكر ولا يعرف الناس إلا في البيئة التي وقع فيها هذا الحادث، وقد وقع عدد كبير من الشخصيات الإسلامية الرائدة الناشطة في مختلف دول أوربا وأمريكا عرضة للاغتيال أوالاعتداء،ولم يلتفت إليه الإعلام،وفي باكستان نفسها وقع اغتيال عدد من العلماء والدعاة،ولم يشكل هذا الحادث خبراً إعلامياً، ولم ينل استنكاراً، أو بذل مجهود من قبل أي جهة لإنقاذه وعلاجه، أو على الأقل استنكاره .

إن الاعتداء الشخصي أو الإساءة إلى أحد على أساس اختلاف في الرأي أو المنهج غير مسموح به في الإسلام، وقد وقع هذا الحادث في منطقة مضطربة، منطقة قبلية، تعتبر منطقة حرة،تكثر فيها حوادث الاغتيال والتفجيرات، و تتعرض للاعتداءات الأمريكية كل يوم علاوة على التفجيرات التي تكلف عدداً كبيراً حتى المساجد لا تستثنى منها، وتمر هذه الحوادث بدون اهتمام بها، أو بذل محاولة لمعالجتها،وإزالة أسبابها .

يدل هذا الموقف على تمييز بين واقع وواقع، على أساس المعتدي والمعتدى عليه، وعلى أساس الأسباب المؤدية إليه، وهذا التمييز في اتخاذ موقف أصبح ميزة سياسة الدول الأوربية ووسائل إعلامها حتى وسائل الإغاثة والإسعاف العالمية ومحكمة العدل العالمية لا تستثنى منها .

بالإضافة إلى هذا الحادث الذي قام بتغطيته الإعلام العالمي للفت الانتباه إلى العنف الإسلامي المزعوم حملت الصحف ووسائل الإعلام خبراً آخر لإبراز جانب الأمن والتفاهم في العالم الغربي، وذلك قرار لجنة جائزة نوبيل منح الاتحاد الأوربي

جائزة السلام، فيقول القرار إن الاتحاد والمسئولين عنه ساعدوا خلال ستين سنة ماضية في تنمية السلام والتوافق والتصالح وإقرار الديموقراطية وحقوق الإنسان .

وقد لقي هذا الإعلان ترحيباً في الدول الأوربية، واعتبره قادة الدول الكبرى مصدراً للإلهام، وكل من يعرف التاريخ المعاصر وله نظرة على أحداث العالم لا يستطيع أن يعرب عن استعجابه وحيرته على هذا الإعلان .

لاشك أن أوربا قضت ستين سنة بدون حرب بينها، منذ الحرب العالمية الثانية التي ألقت فيها أمريكا القنبلة الذرية على هيروشيما وناجاساكي وقتل فيها مآت الألوف من الناس إلى يومنا،ولكن العالم الخارجي لم يقض هذه الفترة في الأمن والسلام، ونشبت حروب وصراعات مسلحة في مناطق مختلفة، تدخلت فيها الدول الأوربية وأمريكا،ويقدر أن مآت الألوف من الناس قتلوا في هذه الصراعات التي حركتها الدول الأوربية حرصاً منها لإبعاد الحرب عن القارة الأوربية كما قال شاعر عربي :

وإني لا أزال أخا حروب فإن لم أجن كنت مجن جاني

إن اشتراك قوات الدول الأوربية في حرب أفغانستان والعراق أمر غير خاف على من يلمّ بالتاريخ المعاصر، فقد أثار منح جائزة الأمن في هذا السياق تساؤلات كثيرة عن مصداقية هذه الجائزة.

ويعرف المتتبع للظروف المعاصرة أن الثورات العسكرية والصراعات المسلحة والمآسي البشرية في مختلف دول العالم كانت محركة ومدبرة ومدعومة من قبل الدول الأوربية مالياً وعسكرياً،وقد ساندت الدول الأوربية وأمريكا الديكتاتوريات، وألغت نتائج الانتخابات إذا فاز حزب لا تتطابق سياسته مع مصالحها، واستمرت ديكتاتوريات في عدة بلدان إسلامية أكثر من ثلاثين سنة، وأغفل الإعلام العالمي الإجراءات القمعية التي اتخذتها هذه الحكومات .

ولا يزال هذا الوضع قائماً خارج القارة الأوربية، أما مايتعلق بالقارة الأوربية فقد كانت الحرب الباردة قائمة منذ الحرب العالمية الثانية بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الغربي الرأسمالي، واستمر سباق التسلح، إلى أن وصل إلى اختراع أسلحة تدمير خطيرة، وفي سياق تنويه دور أوربا في تجنب الحرب وإقامة الأمن جاء إنذار من وزير الدفاع الأمريكي ليون بانيتا حيث قال: إن أمريكا تواجه خطر "حرب سائبر" .

حذر وزير الدفاع الأمريكي ليون بانيتا من خطر عمليات القرصنة الإليكترونية التي تستهدف الولايات المتحدة، ولم يستبعد تعرضها لهجوم إليكتروني يعادل في خطره الهجوم الياباني علي ميناء"بيرل هاربور"، وفي الاستراتيجيات الأمريكية الدفاعية الجديدة يتم إضافة خطر"القراصنة في المجال الإليكتروني"إلي أعداء أمريكا التقليديين : كوريا، الصين، ايران، ويعلق باحث أمريكي أن خطر القراصنة الصينيين علي أمريكا حاليا أكبر من الخطر الإسلامي، وتشير المؤشرات إلي بدايات

دخول الولايات المتحدة والصين في سباق حربي إليكتروني، حيث قامت الصين بإنشاء وزارة الدفاع الصينية للجيش الأزرق، وهي إدارة متخصصة تابعة لجيش التحرير الشعبي الصيني من أجل حماية الفضاء الإليكتروني الخاص بالجيش علي شبكة الإنترنت . وربما أخطر ما يتعلق بهذه القضية، ما تؤكده المصادر الأمريكية من أن تعرض الولايات المتحدة لهجوم إليكتروني، سيتم اعتباره بمثابة إعلان حرب، ما يستوجب الرد عليه عسكريا . وفي سياق تصاعد المواجهات الإليكترونية، فإن دولا أخري تضطر إلي إعداد نفسها لاتخاذ مواقف دفاعية في مواجهة الهجمات الإليكترونية .

يقول الخبراء : " فيما يعد تطورا له أهميته في مجال العلاقات الدولية،أعلنت دوائر متخصصة في"الأمن الإليكتروني"مؤخرا اكتشاف فيروس جديد يستخدم في التجسس والمراقبة الإليكترونية بين الدول،وأكدت هذه المصادر أنه تم بالفعل استخدام هذاالفيروس في التجسس علي عدة دول في منطقة الشرق الأوسط، فيما يخص المعاملات المالية، والبريد الإليكتروني، وأنشطة التواصل الاجتماعي في هذه الدول .

وتتمثل الخطورة في فاعلية الفيروس الجديد الذي أطلق عليه اسم"جاوس"في أنه يستطيع مهاجمة البنى التحتية الحيوية في الدول التي تم توظيفه لمراقبتها، وأنه أصاب بالفعل عددا من الكمبيوترات الشخصية في عدة دول منها لبنان وإسرائيل والأراضي الفلسطينية، كما استهدف عددا من البنوك إضافة إلي نظام"باي بال"للدفع الإلكتروني .

يأتي هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الدوائر المتخصصة نقلا عن مسئولين يرفضون الإعلان عن شخصياتهم أنه يجري في المعامل الأمريكية والإسرائيلية العمل علي إنتاج أجيال من الفيروسات الجديدة متعددة الأنشطة، فيما يعد توسيعا لمجال"الحرب الإليكترونية"التي يتردد أنها تجري حاليا بين الدول الكبري وغيرها من الدول، على مدار الساعة .

ويقول الخبراء إن مبعث الخطورة في الحروب الإليكترونية إنه بينما يقتضي شن الحروب التقليدية الحصول علي موافقة الأجهزة التنفيذية والتشريعية في الدول التي تقرر شنها، فإن شن "الحروب الإليكترونية"لا يحتاج إلى أي موافقات من هذا النوع، حيث يسهل مباشرة القيام باختراق شبكات وأجهزة الدول المستهدفة .

هناك من يتحدث عن"الحرب الإليكترونية"باعتبارها البديل المستقبلي للحروب التقليدية التي تستخدم فيها الأسلحة والصواريخ والطائرات وغير ذلك من أسلحة الفتك وأسلحة التدمير، ومئات الآلاف من الجنود، مما أثار التكهنات عن مدى الاستغناء عن أسلوب المواجهات العسكرية المعروفة والتي تؤدي إلي سقوط الضحايا، وبالتالي، فإن"الحرب الالكترونية"ستعني الالتجاء لأسلوب لا ينطوي علي سفك الدماء. و هناك عمليات تجري في الفضاءات الإليكترونية للدول والمنظمات وذلك بهدف الحصول علي معلومات سرية، وهناك عمليات أخري للحرب الإليكترونية تجري لموازرة العمليات الخاصة مثل محاولة تشويش رادارات كشف

الطيران الحربي واختراقها قبل القيام بعملية عسكرية أمنية محدوده، وهناك"الحرب الإليكترونية"التي تتم بالتنسيق والارتباط مع الحرب العسكرية حيث يجري التجسس علي الإشارات والاتصالات الصادرة من أجهزة العدو مثل الهواتف النقالة وكاميرات الإرسال المباشر واللاسلكي ومحاولة اختراق منظومة التحكم والسيطرة التابعة للعدو .

ولا توجد حاليا حدود علي عمليات تجري سرا، وبلا توقف، وتدخل في عداد استخدام الفضاء الإلكتروني بمختلف الصور، فمن غرفة ضيقة من أحد المنازل في مكان ما، يمكن أن تجري حروب أو مواجهات أشد فتكا مما تفعله الجيوش الجرارة وجحافل الجنود، ومن هنا تشير تطبيقات الحروب الإليكترونية على أرض الواقع حاليا بأنه يمكن أن يترتب عليها تغييرات دراماتيكية في خريطة توزيع القوي علي المستوى الدولي، خاصة أن تقنيات البرامج الكمبيوترية والفيروسية تشهد تطورا يوميا، ما يجعلها تنطوي علي احتمالات خارج نطاق التصور .

يقول الخبراء إن الحرب الإليكترونية هي أعمال تقوم بها دولة تسعي لاختراق أجهزة الكمبيوتر والشبكات التابعة لدولة أخري بهدف تحقيق أضرار بالغة أو تعطيلها،وقد تستهدف هذه العمليات الشركات والمؤسسات وقد تصل إلي استهداف الحكومات، حتي تصل هذه العمليات العدائية إلي مستوي"الإرهاب الإلكتروني"وهو ما يتضمن عمليات تخريبية وتجسسية يمكن أن يترتب عليها ضحايا وإراقة دماء" . (تقرير منشور على الموقع الإلكتروني، إعداد: ثناء فؤاد عبد الله، القاهرة، ٢٠١٢/٨/٢٨م) .

ويعتقد الخبراء بأنه لا توجد دولة في العالم تعيش بمنأي عن التدخل والتجسس الإلكتروني في أجهزتها وشبكاتها الإليكترونية، ما يعني أن جميع الدول معرضة للمخاطر التي تنتج عن الحروب الإليكترونية .

ونظرا لهذا الخطر الجديد بدأت الحكومات في الدول المختلفة اتخاذ إجراءات لازمة لمواجهة حرب سائبر،ومنها الهند؛ فقد بدأت الاستعدادات لمواجهة هذا الخطر، وأعلن أن الهند تدرب نصف مليون محارب سائبر، وقبل ذلك كانت الأسلحة الكيماوية والأسلحة الجرثومية التي قامت مصانع أوربا بإنتاجها وتصديرها إلى دول العلم المختلفة، مادة حربية فتاكة، أخطر من القنبلة الذرية، وقد أفادت الأخبار الأخيرة أن القوات الأمريكية قد وصلت إلى الأردن لاتخاذ إجراءات لمنع استخدام الأسلحة الكيماوية والجرثومية من قبل سوريا أو وصولها إلى أيدي ما سماه الإعلام بالإرهابيين .

لقد أصبحت وظيفة الإعلام المعاصر بث الخوف والذعر والشك والريبة في النفوس، وإبرازه لحوادث القتل والجرائم الفردية والجماعية يقلل في النفوس كراهية هذه الأعمال، فيسبب الإعلام التشويش بدلا من الطمأنينة والشعور بالعافية .

****

من كنوز القرآن الكريم :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)(٤٦)

بقلم : محمد فرمان الندوي

القرآن :

القرآن اسم حقيقي ومشهور للقرآن الكريم فقد قال الله تعالى عنه : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الواقعة الآية/٧٧) وقال : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (سورة البروج الآية/٢١) وقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء الآية/٩) وقال : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٩) وقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النمل الآيتان/٧٦ – ٧٧) ، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن ستين مرة ، فاتضح منه أن الاسم الحقيقي له القرآن .

وقد جرى النقاش بين العلماء قديما و حديثا في اشتقاق هذه الكلمة ، قال جارج سيل : القرآن كلمة عبرانية، وكان اليهود يسمون كتاب النبي يحميا قرا أو مقرا ، ثم جعلوا يطلقون على التوراة قراة أو مقراة ، واشتق منه القرآن ، نقول : لا شك أن معنى كلمة قراة ومقراة في اللغة العبرانية : الدراسة ، لكن توجد تجاه ذلك كلمة عربية : قراءة ، فإ ذا كان اسم القرآن مشتقا من العبرانية كان قراءة ، لا قرآنا ، فالقضية هنا قضية اشتقاق الكلمة من العربية ، لا معناها .

وقال الإمام الشافعي : إن النطق الصحيح لكلمة القرآن قران على وزن فعال ، وهي ليست مشتقة من مادة أو أصل ، بل وضع الله تعالى هذا

الاسم لكلامه المجيد بدون أي اشتقاق ، فهو اسم وعلم له ، وأيد الفراء النحوي والإمام أبو الحسن الأشعري فكرة الإمام الشافعي (القرآن هو أصلا القران بدون همزة) ، لكنهما يقولان : إن النون في القرآن ليست أصلية ، يقول الأشعري : القران مشتق من القرن ، ومعنى قرن : ربط ، ذلك لأن القرآن يربط السور والآيات والحروف ، فسمي بالقرآن ، ويقول الفراء : القرآن مشتقة من القرائن ، والقرائن جمع قرينة ، ومعنى القرينة الدليل والشبيه ، لأن كل آية من آيات القرآن دليل للآية الثانية ومفسرة لها ، فسمي بالقرآن.

إن رأي الإمام الشافعي يخالف أكثر أهل المعاجم، فلا يعبأ به ، لأن جميع القواميس حافلة بمعنى القرآن ، وهي ترفض رأي الإمام الشافعي رفضا باتا .

ولا يكون تحقيق الأشعري صحيحا إلا إذا كان نطق القرآن الصحيح قرآنا ، وهو صحيح في القراءة المشهورة ، طبقا للأحاديث الصحيحة ، وليس هنا وجه يصحح قول "القران" قرانا .

أجمع المفسرون وأصحاب القواميس ، و القراء الماهرون في الأحرف السبعة على كون القرآن على وزن فعلان ، وهو مثل غفران ونقصان ، وقد نشأ اتجاهان في تعيين معنى القرآن ، فقال بعض المفسرين : معناه : قرأ أي درس ، وقال الآ خرون :معناه : جمع ، وكلا المعنيين صحيح .

أما الاتجاه الأول فهو لابن عباس وغيره من القدماء رضي الله عنهم ، مثل : لحيان (اللغوي المشهور) ، فالمصدر عندهم في معنى المفعول ، وهو كتاب يقرأ مرة بعد أخرى ، و يتلى ، أما الاتجاه الثاني فهو جمع ، واتفق عليه جمهور المفسرين والماهرون في اللغات ، وهو في الواقع صحيح ، ورد في تفسير فتح البيان : ذهب الأكثرون إلى أنه (أى القرآن) مشتق من القرء وهو الجمع ، وقال الطبري : إن قتادة وجه معنى القرآن إلى الجمع ، و قال مؤلف تاج العروس : قال أبو إسحاق الزجاج : معنى القرآن الجمع ، وقال الرازي : قال الزجاج وأبوعبيدة : إنه مأخوذ من القرء ، وهو الجمع ، قال ابن الأثير : الأصل في هذه اللفظة ، قول الراغب الأصفهاني : إنما سمي قرآنا لكونه جَمَع ،

وقال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم :

ذراعي عيطل إدماء بكر هجان اللون لم تقرء جنينا

وقال سنان بن الفحل الطائي :

ولكني نصبت لهم جبيني وآلة فارس حتى قريت

إن أقوال المفسرين وبيانات أئمة القواميس وطرق استعمال شعراء العصر الجاهلي قد كشفت معنى القر آن الكريم ، لكن القرآن لا يحتاج لإثبات معناه إلى مصادر أخرى ، بل يبين معناه بنفسه ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة الآية/١٧) .

قد بينا من قبل أن القرآن إما مصدر بمعنى الصفة أواسم فاعل أى : الجمع أو الجامع ، هنا ينشأ سؤال : لماذا سمي القرآن جامعا ؟ أجاب علماء الإسلام عنه ثلاث إجابات :

(١) أبو إسحاق النحوي يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتابا وقرآنا وفرقانا ، ومعنى القرآن جمع القرآن ، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها.(٢) قال ابن الأثير : وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد .

كلا الجوابين ليسا من وجوه تسمية القرآن المناسبة ، لأن فضيلة جامعية الفصول والأبواب أو الوعد والوعيد والأمر والنهي لكتاب عال ، لا تحمل أي قيمة ، (٣) بل السبب الأصيل لتسمية القرآن بالجامع هو ما قال الراغب الأصفهاني : إنما سمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنـــزلة .

الواقع أنه ليس هنا اسم أحسن من القرآن (الجامع) ، إن الدين الإسلامي دين كامل في العالم ، فكان من اللازم أن يكون هذا الكتاب جامعا ، فالتوراة قانون ، والإنجيل أخلاق ، والزبور حمد ومناجاة ، لكن القرآن قانون وأخلاق وأدعية ومناجاة ، وخلاصة الكتب الدينية كلها في العالم ، وهو جوهرة الصحف السماوية ، فالقرآن يكمل جميع حاجيات الإنسان ويتكفل بكل نوع من الضرورات ، وينور كل طريق من الدنيا و الدين ، فهو جامع

كل شعبة من شعب الحياة : العقائد والعبادات والمعاملات وإصلاح الباطن والأخلاق والقانون والمدنية والاجتماع والسياسة وغير ذلك ؟ هل يساوي كتاب ديني في الدنيا القرآن ، إذا كان الجواب بـــ : لا ، فليس هناك اسم أحسن للقرآن من معناه "الجامع " .

إن عامة المسلمين لا يعرفون شيئا عن أسماء القرآن ، حتى تجرأ الآريون من الهندوس على أن يقولوا أن القرآن مركب من "قرأ" و"آن" وكلمة قرأ فعل أمر من قرأ معناها درس ، ومعنى الآن : آنفا ، فكان معنى الجملة : إقرأ الآن ، إن هذا التحقيق الجائر ليس من الحقيقة في شيء ، يعرف طلاب المدارس "قيمة" هذا التحقيق (مقالات سليمان ج٣/ ٥٥,٦٣) .

الفرقان :

ورد في القرآن كلمة الفرقان في معناه مرتين ، قال الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ ومثل هذه الآية موجودة أيضا في سورة التوبة ، وورد في سورة آل عمران : ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (سورة الفرقان الآيتان/٣ – ٤) وقد سمى القرآن التوراة بالفرقان ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/٤٨) .

هنا ينشأ سؤال وهو : أن الفرقان من أي لغة ؟ وما معناها ؟ قال جارج سيل : الفرقان مقتبسة من لغة عبرانية ، وكان اليهود يسمون أجزاء كتابهم فرقة أو فرقا ، فاشتق الإسلام اسما لكتابه الديني من المادة المذكورة أعلاه ، جوابه : لا عذر لقبول رأي سيل لكن نسأله سؤالين : إن الفرقة وفرق اليهودعبارة عن جزء أو باب للتوراة ، وإذا كان الفرقان مقتبساً من الفرقة والفرق أطلق على سورة في أغلب الأحوال ، لكن الإسلام سمى القرآن كله بالفرقان ، والسؤال الثاني : كما أن الفرقة والفرق في اللغة العبرانية في معنى الأجزاء كذلك استعملت هاتان اللفظتان في اللغة العربية في نفس المعنى ، قال الله عزوجل : ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (سورة التوبة الآية/١٢٢) وقال : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الشعراء

الآية/٦٣) ثبت من هاتين الآيتين أن هذين اللفظين استعملا في اللغة العربية في نفس المعنى ، فلا حاجة للإسلام إلى أن يأخذ لفظا من التوراة ويترك اللفظ الذي يوجد فيه من قبل .

إننا نعتقد أن القرآن يفصل معناه ، فعلينا أن نبحث عن معناه فيه ، ومعلوم أن الفرقان مصدر ، وإن معناه المشتق يوجد في الآيات القرآنية ، قال الله تعالى : ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ (سورة المرسلات الآية/٤) معنى الفارق : المميز ، واستكشافا لمعنى الفرقان اقرؤا قول الله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأنفال الآية/٤١) فمعنى الفرقان هنا : الحرب ، لأن هذه الحرب ميزت الحق من الباطل و الكفر من الإسلام ،وقد سبق أن الفرقان مصدر ، ويأتي المصدر باللغة العربية في معنى اسم الفاعل، قا ل الله عزوجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الفرقان الآية/٢٩) فالفرقان في هذه الآية بمعنى الفارق أو القوة المميزة ، وقد وردت كلمة الفرقان في المعنى المؤخر الذكر مرات في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ (سورة البقرة الآية/٥٣) فليس المراد من الفرقان هنا التوراة ، لأن كلمة الكتاب تشير إلى ذلك ، فتعين المعنى الثاني بالقطع ، الذي نعرفه بالضمير الإنساني ، والقضاء الصالح والروح والقوة المميزة بين الحق والباطل .

لقد ثبت من هذا أن معنى الفرقان : الحكم أو الحاكم ، وإذا اتصف كتاب بهذه الصفة كان معناه كتابا مميزا بين الحق والباطل الحقيقة أن القرآن والتوراة اتصفا بالفرقان بين جميع الكتب والصحف السماوية الأخرى ، لأنها تشتمل على التعليمات الخلقية والروحية ، أما فالتوراة والقرآن كلاهما مجموعة أخلاق وقوانين ، لأ ن القانون يميز بين الحق و الباطل .

(مقالات سليمان ج/٣/٤٦ – ٥١)

****

إصدارات حديثة :

مشاهد ومطارحات في الأدب واللغة والثقافة

قلم التحرير

تلقينا هديةَ كتاب فريد من نوعه باسم "مشاهد ومطارحات في الأدب واللغة والثقافة" أهداه إلينا سعادة الدكتور محمد ثناء الله الندوي أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليكراه الإسلامية (الهند) ، موضوع الكتاب يدور حول جدل المفاهيم والمواقف والمناهج والنظريات والأفكار والآراء الأدبية والثقافية التي أدت إلى تشكيل ثورة في العقول والكلمة بالذات ، فهناك قراءات نقدية ، وتطويرية حملت لواءها أوربا أولاً ثم انطلقت هذه العدوى إلى الوطن العربي ودول العالم المختلفة ، وقد يتوضح هذا الموقف بما جاء في مقدمة الكتاب بقلم المؤلف نفسه ، يقول :

"حقيقةً إن العلم لا وطن له ولا حدود ، وأن الإنسان بغض النظر عن موقعه وثقافته قادر على أن ينتج شيئاً ذا بال لأمته وللإنسانية ، يحمل بصماته ويصلح للتطبيق أو (الاستهلاك) في بيئته ، وربما في بيئات أخرى ، ولكن الواقع أن العالم الأول كان له السبق في مجالات الفكر المختلفة ، اكتفى العالم العربي باجترار ما ينتجه الأوربيون ، متوزعاً بين نفسيات تكابر أو اغترار ، وبين فئات تشرع منطلقها صوب الاحتذاء المتأسلف أو الاقتداء المعصرن ، من هنا تبدأ قصة المشاهد والمطارحات في لغتنا وأدبنا وثقافتنا ، ماذا نفكر ؟ وكيف نفكر ؟ ماذا ننتج ؟ وكيف ننتج ؟ كيف نقرأ ما نكتبه نحن أو يكتبه الآخر ؟ كيف تتشكل آليات التحليل والتفهم والتفسير ؟ هي جملة من الأسئلة التي تفرض علينا سلطاتها عند مثولنا أمام ملكوت الكلمة ، المناهج النقدية وطرق التحليل الألسني الجديدة من جملة القضايا التي أثير حولها الجدل في نقدنا العربي ، على الرغم من أننا لسنا بدعاً من الأمم في هذا المجال" .

هذا الكتاب يحتوي على ١٥/عنواناً كما يأتي :

مقدمة ، الحداثة ، ما بعد الحداثة ، ما بعد البنيوية ، النسائية والفكر

ما بعد البنيوى ، السيموطيقية ، التداولية ، الحجاجية ، في الخطاب الأنثوي العربي ، جدل المصطلح العربي ، السرد الحديث وجدل المقاربا ، روايتنا بين الاعتراب والاغتراب ، الشعر العربي بين الاتباع والابتداع ، قصيدة النثر العربية .

٢- السير سيد أحمد خان : حياته وأفكاره

أهدى إلينا هذا الكتاب الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين العمري يوم كان رئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي جراه الإسلامية ، وكان حقاً عليه أن يؤلف كتاباً باللغة العربية حول شخصية مؤسس جامعة علي جراه الإسلامية وحياته وأفكاره ، ألا هو السير السيد أحمد خان ، الذي بذل مجهودات بالغة في نشر الثقافة العلمية والتربية الدينية في شباب مسلمي الهند بوجه خاص ، فقد كانت الأمية منتشرة في المجتمع الشبابي ، أيام الاستعمار الإنجليزي ، في هذه البلاد ، وكانت له رؤية خاصة نحو جمع الثقافة العصرية والتعليم الديني في شباب الأمة الهندية ، وإعدادهم للقيادات العلمية والسياسية والاجتماعية في هذه البلاد ، وفي الدول المتخلفة تعليمياً ، إنه اتخذ طريقاً سلمياً مع الاستعمار الانجليزي لمجرد ألا يكون هناك عائق يمنعه عن تحقيق أمنيته الغالية ، وقد حقق الله على يده هذا التطور التعليمي ، الذي لم يكن متوافراً في مجتمعات المسلمين حينذاك .

لا شك أن السير سيد أحمد خان كان عالي الهمة ، خصيب الفكر ، ناصحاً للأمة الإسلامية الهندية ، ومخلصاً في عمله هذا ، وإن كانت هناك مؤاخذات عليه في بيئة العلماء وأصحاب الفكر الديني ، إلا أن ذلك لم يثبط همته ، وظل مهتماً ببرامجه التعليمية وتوسعة نطاقها إلى آخر لمحة من حياته ، فكان أمة بذاته في تاريخ الهند التعليمي المبكر ، ترك بصمات من إنجازاته واهتماماته الكبيرة في هذا المضمار .

نحن إذ نهنئ المؤلف الكريم على عرضه لحياة السير السيد أحمد خان وأفكاره باللغة العربية ، لكي تكون شخصيته معروفة بين العلماء والمثقفين العرب ، ندعو الله سبحانه أن يتقبل جهده ويعمم نفعه .

الأمير هذلول بن عبد العزيز إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

أدى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ، مع جموع المصلين صلاة الميت على الأمير هذلول بن عبد العزيز رحمه الله ، والتي أقيمت في المسجد الحرام بعد صلاة العشاء الليلة الماضية ، في ٢٠١٢/٩/٣٠م ، الموافق ١٤٣٣/١١/١٤هـ وأدى الصلاة مع خادم الحرمين الشريفين كل من الأمير متعب بن عبد العزيز ، والأمير سلمان بن عبد العزيز ولي العهد ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع السعودي .

ونحن إذ نقوم بواجب التعزية المسنونة إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمد الراحل الكريم بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

٢- الدكتور عبد الحق الأنصاري في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة فضيلة الدكتور عبد الحق الأنصاري أمير الجماعة الإسلامية ، في الهند سابقاً ، وذلك إثر نوبة قلبية حدثت فجاءة في منـــزله بعلي جراه ، فقد كان الراحل الكريم يعاني من الأمراض منذ فترة طويلة ، سافر خلالها إلى الولايات المتحدة للمعالجة ، حيث كان أقرباؤه مقمين بوظائف محترمة ، ولكنه آثر العودة إلى الهند ، وقبل مدة عاش مع أهله وأعضاء أسرته في حالة من الصحة ، ووافاه الأجل يوم ٣/أكتوبر ٢٠١٢م ، الموافق ١٥/ذوالقعدة ١٤٣٣هـ ، عن عمر يناهز ٨١/عاماً فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من أفاضل الرجال والمثقفين بالثقافتين الدينية والمدنية ، فأفاد الجماعة بنظرته الفاحصة وثقافته الواسعة ، كما أنه قضى حياته كلها في شئون العلم والثقافة وفي التعليم ، فظل أستاذاً في جامعة أم درمان الإسلامية

بالسودان وفي جامعة علي جراه الإسلامية ، كما أنه قضى وقتاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض كأستاذ للبحث والتحقيق والتدريس .

خلف وراءه زوجةً وولدين وبنتاً ، وترك ذكريات طيبة في مجال العلم والثقافة ، ونحن إذ نعزي أهله وأصدقاءه ونشاطرهم في الشعور بالحزن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر له زلاته ويتغمده بواسع رحمته ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوة .

٣- والدة الأخ الأستاذ فيصل منظور الندوي إلى رحمة الله تعالى

في ١٢/من شهر سبتمبر ٢٠١٢م استأثرت رحمة الله تعالى بوالدة الأخ الأستاذ فيصل منظور الندوي وحرم الأستاذ منظور أحمد بمدينة كانفور ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة السيدة خديجة خاتون قد عادت بعد أداء العمرة قبل وفاتها بأيام ، فكأن الله سبحانه وتعالى تقبل هذه العبادة ، فلبت نداء ربها تعالى بغاية من الفرح والسرور .

كانت الراحلة تعمل في مجال الدعوة إلى الله تعالى في المجتمع النسوي منذ أربعة عقود ، فاجتمعت حولها جماعة من النساء في هذا المجال ، حتى استطاعت أن تخرج بجماعة النساء إلى مختلف أنحاء البلاد وخارجها ، فبارك الله في عملها الدعوي ، ووفقها إلى التعريف بالإسلام في هذا المجتمع بوجه خاص .

كانت بالغة من العمر ٥٧/عاماً ، ولكن الأجل لم يمهلها إلى توسعة هذا النطاق ، إلا أنها خلفت وراءها بعض زميلاتها ، في هذا العمل ، ويرجى أن يسددن هذا الفراغ بمشيئة الله تعالى .

تغمدها الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاتها ، وأدخلها في جنات الفردوس جزاء بما عملت ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ .

****

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة:"البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السابع والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الاسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)